'UBAYD

KALIMAT HAMDI 'UBAYD FI
AL-DA'WAH ILA AL KHAYR
WA-AL-FADILAH

2276
.9185
.351

2276.9185.351
'Ubayd
Kalimāt Hamdī 'Ubayd fī
al-da'wah ilā al-Khayr
wa-al-fadīlah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 072245242

كلمات

حمدي عبيد

في الدعوة إلى الخير والفضيلة

ʿUbayd, Ḥamdī

Kalimāt

كلمات

حمدي عبيد

في الدعوة إلى الخير والفضيلة

المطبعة الهاشمية بدمشق

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٣٨٠ هجري
إيلول ١٩٦٠ ميلادي

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ورضي الله عن العلماء العاملين والأئمة المجتهدين وعلى كل من اقتفى آثارهم إلى يوم الدين . أما بعد فان الأمة العربية عريقة في المجد ، مشهورة بالشمم وعزة النفس ، إلا أنها — كغيرها من الامم — مرت عليها أطوار متناقضة : من قوة وضعف ، وعز وذل ، وغنى وفقر ، ولكنها — في جميع أطوارها — لم تخنع لظالم ولم تستخذِ لعدو ولم تنم على ضيم ، ولم يُعرف أنها استسلمت لجبار أو رضيت بالهُون ، وأسوأ طَوْر مرت به طور الجاهلية ، فقد انحطت فيه العقول حتى أصبح الناس يعبدون الأصنام ، ويؤمنون بالخرافات

(RECAP)
2276
.9185
.351

والأوهام، يئدون بناتِهم وهن أحياء من غير أن تتحرك فيهم رحمة الأبوة أو عاطفة الانسانية ، إلى غير ذلك من الضلالات التي يأباها الدين ، وتشمئز منها النفس وينفر منها العقل ، كشن الحروب والغزوات لأمور تافهة لا قيمة لها ، مما سبب تفريق كلمتهم وتمزيق وحدتهم ، وما زال هذا شأنهم ، وتلك حالتهم حتى أرسل الله رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ، يدعوهم الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصحح تلك العقول التي كانت تعبد الأحجار ، وجعلها لا تعبد إلا الله الواحد القهار ، ولا تخضع إلا لعظيم سلطانه ، ثم بدل عليه الصلاة والسلام بلطفه وحسن أسلوبه قسوتهم ليناً ، وغلظة أكبادهم رحمة وحناناً ، واستل من نفوسهم السخائم والأحقاد ، ووضع مكانها المحبة والاتحاد .

تحمَّل عليه السلام في سبيل نشر الدعوة ـ التي تحمل الخير والسعادة لأمته وللانسانية كلها ـ ضروباً من الشدائد والأهوال

لا يستطيع التغلب والصبر عليها إلا أولو العزم من الرسل ، فقد قاومه أهله وعشيرته ، وقومه وبلاده ، ووقفت في سبيل نشرها وذيوعها ملوك الروم وفارس بل وقفت في وجه حامل لوائهـا الدنيا،وثبت عليه الصلاة والسلام وحده أمام الجميع ، مؤمناً بالنصر إيماناً لا يخالطه شك ولا يمازجه ريب ، يدعوهم بحكمته البالغة وصبره العجيب ، فيؤمن به الواحد تلو الآخر ، ثم العشَرة بعد العشَرة ، والمائة خلفها المائة ، حتى تغلغلت الدعوة الايمانية في قلب الجزيرة العربية ، ثم خرجت منها تنتشر في البلاد المجاورة منتصرة على كل من يقاومها ، لما تحمله معها من عدل وخير ، ومازالت تتقدم وتنتصر في الشرق والغرب ، والجَنوب والشَّمال حتى قضت على دولتي الروم والأكاسرة ، وبذلك انتصر الحق على الباطل والعدل على الظلم ، وتغلبت الحرية على العبودية والانسانية على الهمجية ، قد تمت هذه المعجزة بسرعة

أدهشت العالم أجمع ، وحققها النبي العربي محمد ﷺ وخلفاؤه من بعده في مدة لم تتجاوز نصف قرن مما لم يُروَ له نظير في التاريخ ، وما زالت الامة العربية منذ ذاك العصر الذهبي تتقدم وتتأخر ، وتقوى وتضعف ، وما زال أعداؤها يحيكون لها المؤامرات للقضاء عليها ، وقد أصابوا قسماً من النجاح فاحتلوا الكثير من بلادها ، بعد أن فرقوا كلمتها ومزقوا وَحدتها ، وأفسدوا أخلاقها ، ثم طمعوا في أن يقضوا على عقيدتها ، وينزعوا روح العروبة المتأصلة في نفوسها ، ولكن خاب فألهم وطاشت حلومهم ، فالايمان — رغم خداعهم ومؤامراتهم — ثابت في قلوب العرب ثبوت الجبال الشامخات لا تؤثر عليها العواصف والانواء ، وروح العروبة ما تزال تجري في عروقهم بقوة وحرارة ، ولا أدل على ذلك من هذه النهضة الحديثة التي نشاهدها اليوم ، تلك النهضة المباركة التي بدأت بطرد الأجنبي

وإجلائه عن قسم عظيم من البلاد العربية وبالعمل على إجلائه عن القسم الذي لم يزل المستعمر يحاول البقاء فيه ، وهيهات أن ينجح في محاولاته ما دامت فكرة الحياة الحرة المستقلة قد رسخت في قلب كل عربي في جميع أقطار الأرض ، قام هذا الشعب العريق في المدنية يكافح الأعداء ويناضل ، ويشق طريق المجد بعزم قوي لا يعرف الضعف ، ثم بدأ يهدم ما في القديم والحديث من شر ، ويبني مكانه ما فيهما من خير ، فبنى القُوى الدفاعيةَ على أحدث طراز ، والاسسَ الاقتصادية على أفضل الدعائم ، فأنشأ المعامل الكبيرة على اختلاف أنواعها ، ونهض بالزراعة على الأساليب الحديثة ، والاصول الفنية ، وهكذا تضافرت جهود الأمة على بناء الوطن العربي ، كلٌ حسَب اختصاصه ، فكل بناء تتعاوره الأيدي القوية والعقول الصحيحة والنفوس المخلصة والذمم الطاهرة فلا بد أن يتم على أحسن شكل وأفضل نوع .

وبعد فلما كنت شغوفاً بحب أمتي ، أريد أن تكون أرقى أمم الأرض ، غيوراً على بلادي ، أحب أن تكون في مقدمة البلاد ، ولما لم أكن مختصاً بالطب أو الهندسة ولا بالزراعة أو الصناعة ، وكنت كما قلت آنفاً شغوفاً بحب أمتي ووطني وأحب من صميم قلبي أن يكون لي شرف المساهمة في بنائهما وجلب الخير لهما عمَدت إلى كلمات كنت كتبتها في أوقات مختلفة وأغراض متنوعة ، وكل كلمة منها على بساطتها وسذاجتها تحث طبقاتِ الأمةِ على العمل لما فيه خير المجموع ، وتنفرهم عما فيه شر المجموع ، لعلي بذلك أُعَد مساهماً في بناء هذا الوطن الغالي ومشتركاً مع كل عامل لخيره .

واخيراً أعدت قراءة كلماتي فتراءى لي أنه قد يستفيد منها قسم من الناس فرتبتها وسميتها ـ كلمات حمدي عبيد ـ ثم طبعتها على هذا الشكل الذي ترونه ، راجياً من الله أن أكون مخلصاً

فيها فيفتحَ لها قلوب القارئين والسامعين فينتفعوا بها ، وأسأله أن يجعلني أول المنتفعين ، وأن يهدينا جميعاً لصالح الأعمال والأخلاق ، فأنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا هو .

الصدق

من أحسن صفات الإنسان وأشرفها الصدق ، فعلى العاقل أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله فلا يُخرج من بين فكَّيْهِ كلمة تخالف الواقع ، ولا يعمل عملاً لا تؤيده الحقيقة . ويجب عليه أن يثبت على هذا الخلق الكريم حتى يكون طبيعة فيه فإذا كان ذلك اكتسب احترام الناس ونال ثقتهم ، والرجل المتقلب الذي يصدق مرة ، ويكذب مرات ، لا مروءة له ولا ثقة فيه ، فالناس يُكَذِّبونه وإن كان صادقاً ويتَّهمونه وإن كان أميناً ، وليس من شأن العاقل أن يرضى لنفسه مثل هذه المنزلة الدنيئة .

من وحي العروبة

هذه هي الجَلسة الأولى أجلسها على ضفة نهر اليرموك في الحَمة ، أنظر إلى مياهه التي شكلت بحيرة واسعة يداعبها النسيم فتكونت منها موجات جميلة أخّاذة . رفعت نظري إلى الضفة الثانية فرأيت أرضاً ذات وهاد وهضاب ، منها كاسيات ومنها عاريات ، تُزَيِّنها أشجار طبيعيات ـ وكم بالطبيعة من جمال لا يحاكيه جمال ـ وخلف هذا وذاك جبال شامخات ، سترتها غلالة شفافة من الخضرة الناضرة الناعمة التي تشرح الصدور ، وتستهوي الأفئدة ، وعلى ذراها شجيرات صغيرات ، تظلل هذا كله سماء صافية زرقاء ، تزيد هذه المناظر البديعة روعة وجمالاً ، تحرك شاعرية الشاعر ، وتشحذ قلم الناثر ، وتوحي اليهما بالشعر الساحر ، والكلم الخالد .

جلست ساعة أقلب الطرف في هذه المشاهد الخلابة ، فأذهلتني عن كل من يحيط بي على كثرتهم ، وجعلتني لاأسمع لهم صوتاً رغم ضجيجهم وضوضائهم ، ولم أزل غارقاً في هذا الذهول العميق حتى أيقظني منه صوت يخاطبني قائلاً : أيها المسحور بهذه المناظر الطبيعية ، المأخوذ بجمالها وروعتها ، الغافل عما وراءها ، انتبه من غفلتك واصحُ من سكرتك ، واعلم أن خلف هـذا الجبل ، نعم خلف هـذا الجبل ذاته عدواً غادراً ، وخصم ماكر ، لا يعرف للانسانية معنى ولا يقيم للحق وزناً ، هو رابض بعَدده وعُدده ، لا تُغمض له عين ولا يهدأ له فكر ينتظر غفوتك لينقض عليك ، ويحتل وطنك ويستأثر بخيراته إنه يريد أن يُهين كرامتك ، ويستذلَّ عزتك ، إنه يريد أن يستعبدك ويقضيَ على أمجادك ، إنه منك لقريب ، قريب جداً بحيث لو علوت هذه الهضْبة لرأيته بعينك ، ولسمعت صوته

بأذنك وعلمت ما يُعده لك ولبلادك وعروبتك ، من آلات التدمير . عجباً منك كيف تستهويك خضرة النبات والاشجار وتُذهلك زرقة السماء والماء ، وتأسِرك لطافة الجو ورقة الهواء ، بل كيف تغتر بنضرة الحاضر وازدهاره ، وتغفُل عن ظلمة المستقبل وأهواله ، ثم تضاءل هذا الصوت شيئاً فشيئاً حتى تلاشى فالتفت يمنة ويسرة ، وأجلت نظري في سمع الأرض وبصرها لأرى صاحب هذا الصوت الذي هزني هزّاً عنيفاً فلم أقف له على أثر ، حتى أيقنت أن هذا كلَّه خيال أو أضغاث أحلام .

إسترحت ساعة فسكنت نفسي ، وهدأت أعصابي ، ثم عدت إلى ما كنت عليه أولاً من التأمل بجمال الطبيعة وصفائها والانس بسحرها وبدائعها ، فعاد الصوت ، ولكن عاد هذه المرة يقصف كالرعد يملأ الفضاء ، ويزلزل الجبال قائلاً : أيها العرب ! يا أباة الضيم ، ويا أبناء الفاتحين ، يا أحفاد الغر الميامين

يا أنصار الحق وأعوان المظلومين : إن أجدادكم قد بذلوا أرواحهم وأموالهم إعلاءً لكلمة الله ، ودفاعاً عن مبادىء العدل والانسانية ، وتأييداً لقواعد الحق والمدنية ، وانقاذاً للضعفاء من براثن الظلم والهمجية إنهم فتحوا البلاد ورقّوا العباد ، مزقوا راية الجهل ورفعوا أعلام العلم ، هدموا صروح الرذيلة وشيدوا معاهد الفضيلة .

صاحوا صيحة مدوية أيقظت العالم أجمع ، ولولاها لبقي الناس في جهالتهم غارقين وفي همجيتهم سادرين .

أيها العرب ! إنكم لا شك أبناء أولئك الأبطال الذين ملأوا الدنيا عدلاً وانسانية ، ورحمة ومدنية ، ونشروا على الخلق ألوية الحق .

أيها العرب ! إن أجدادكم قد جاهدوا وأتوا بالمعجزات ، إنهم بذلوا أموالهم وأهرقوا دماءهم رخيصة حتى أسسوا هذا

الملك العظيم ، والمجد الضخم ، وكان الواجب عليكم أن تحافظوا عليهما ، إن لم تزيدوهما عظمة وفخامة ولكنكم - ويا للاسف - اخذتكم سِنة من النوم ، وغرتكم زخارف الدنيا ، وركنتم إلى الراحة والدَّعة ، واستسلمتم لشهواتكم وأهوائكم وشُغلتم عن اعدائكم بتنازعكم على الملك والسلطان ، وأصغيتم الى نزغات شياطين الاستعمار ، وخُدعتم بوعودهم ودعاياتهم حتى تمكنوا من الاستيلاء على الكثير من بلادكم ، والحط من عزتكم ، والنيل من كرامتكم .

أيها العرب الأُباة ! قوموا على أمشاط أرجلكم ، وأحكموا أمركم فان الفرص لا تزال سانحة ، والظروف مواتية ، أجمعوا امركم وكلمتكم ، ووحدوا صفوفكم ، وأعدوا لاعدائكم كل ماتستطيعون من قوة : قوة الايمان والاتحاد ، قوة المال والسلاح قوة العلم والكفاح ، قوة الحق والفضيلة والاخلاص .

قوموا أيها الأسود على أمشاط أرجلكم ، واعتمدوا على الله ربكم ، قوموا واقتحموا هذه الحدود التي أوجدها الظلم ورجاله والمستعمر وأعوانه ، وفرضها العدوان وأنصاره ، والمغتصب وأذنابه مزقوا أيها العرب هذه الحدود المصطنعة وقاتلوا العدو الجاثم خلفها كما قاتلكم ، وأخرجوه كما أخرجكم ، واعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، وشردوه كما شردكم ، قاتلوه وارفعوا العار عنكم قاتلوه واثأروا لشهدائكم ، إثأروا لأطفالكم الذين مزقت القنابل أجسادهم الغضة ، إثأروا لنسائكم اللواتي بقرت الحراب الدنسة بطونهن الطاهرة ، إثأروا لشيوخكم الضعفاء الاتقياء الذين قضى عليهم العدو وهم في بيوت ربهم ساجدون قاتلوه على طول الحدود ، وادخلوا عليه الباب قبل أن يدخل هو عليكم ، وهاجموه قبل أن يهاجمكم ، فهو عدو خداع يريد أن ينقض عليكم وأنتم عنه غافلون ، قاتلوه يعذبه الله بأيديكم

وينصركم عليه ويشف غيظ قلوبكم ، قاتلوه واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين .

أيها العرب فوق كل أرض ، أيها العرب تحت كل كوكب أيها الأسود الأشاوس ! هاهي ذي الفرصة قد سنحت فانتهزوها فانها إن ذهبت هذه المرة ـ لا سمح الله ـ فلن تعود ، وهذه رياح النصر قد هبت فاهتبلوها قبل أن تسكن ، إهتبلوها واصغوا إلى قول شاعركم العربي الحكيم :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن السافيات لها سكون

وإن درت نياقك فاحتلبها فماتدري الفصيل لمن يكون

هذه هي الفرصة التي كنتم تنتظرونها فايا كم أن تضيعوها إنها فرصة الحياة ، استقبلوها بالإيمان القوي ، والعزيمة الصادقة استقبلوها بالمحبة والاتحاد ، بالبذل والتضحية ، بجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، إنها نعمة فلا تنفروها بالانانية وحب الذات

وارتكاب الجرائم والشهوات ، لاتنفروها بالركون إلى الزخارف والملذات ، حرام عليكم والله أن تضيعوها بالخيالات والتُّرهات حرام عليكم أن تناموا وأعداؤكم ساهرون ، حرام عليكم أن تغفلوا وهم يقظون ، حرام عليكم أن تبددوا الأموال وهم لقتالكم يجمعون .

أيها العرب المخلصون !

لا تبنى الممالك إلا على الجماجم والضحايا ، ولا يُبلَغ المجد بالتمني ، ولا العز بالأماني ، ولكن بالوحدة والاتحاد ، بالإيمان والإخلاص ، بالجد والاجتهاد ، بالبذل والجهاد ، بالكفاح والجِلاد . اسمعوا قول شاعركم المعاصر : أحمد شوقي :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تُؤخذ الدنيا غِلابا

وهنا عاد الصوت يضعف قليلاً قليلاً حتى تلاشى .

حاولت أن أرى صاحب الصوت وحاولت ولكن هيهات

هيهات فليس إلى ذلك من سبيل . رفعت صوتي في الفضاء عالياً وقلت : ياصاحب الصوت ! إذا كنت لا تريد أن أراك أو لاتستطيع أن تُريني نفسك ، فبربك أخبرني من أنت فأجابني بصوت قوي كالرعد : أنا صوت العروبة ، أنا روحها فما أنا منكم ولا أنتم مني إن لم تحافظوا على تراثنا وأمجادنا ، إنني لست منكم ولستم مني إن لم تُنقذوا فلسطين ، فلسطين قلب العروبة الخفاق .

الى القوة

تقوَّ إذا رمت درك العُلى فما يُدرِك الحق إلاَّ القَوي
وممِّد بعزمك مِنهاجَها فليس سبيل العُلى بالسَّوِي

أحمد عبيد

الرحمة في الإسلام

الرحمة صفة شريفة ، ومزية إنسانية ، بها يعطف الوالد على ولده ، فيعمل ويجاهد ، ويكُد ويناضل ، باذلاً لأجله مايملك من مال وحنان . وكذلك الأُم تهَب ابنها قلبها وجهودها وراحتها وصحتها ، تسهر لينام ، وتتعب ليرتاح ، وتجوع ليشبع فهي الخادم الأمين ، والمربية الحنون ، التي تغمره بعطفها ورحمتها وتحوطه بحبها ورعايتها ، ولولا ذلك لما استطاع الولد أن يجتاز سن الطفولة ، بل لما استطاع الحياة .

لولا الرحمة ما أحسن غني إلى فقير ، ولا حنا قوي على ضعيف ، ولا رق قلب على بائس . بالرحمة تشتد أواصر المحبة ، وتسموا معاني الانسانية ، وتقوى وشائج الأُخوّة ، وعليها تشاد

دعائم الاتحاد ، يجب أن تسكن الرحمة كل قلب وأن تُبذل لكل ذي روح ، إنساناً كان أو حيواناً ، قريباً أو بعيداً عظيماً أو حقيراً . ويكفى تعظيماً لشأن الرحمة أن الله وصف نفسه بها فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . وقال : نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أنا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١) وقال : وَرَحْمَتِي وَسِعَت كلَّ شيْء (٢) ووصف نبيه عليه السلام بقوله : بِالْمُؤْمنين رؤفٌ رحيم (٣) . وخاطبه بقوله : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (٤) وفي القرآن آيات كثيرة تُشيد بذكر الرحمة وتَحُث الناس عليها وتبين فضائلها ، وما أعد الله للرحماء من خير . وفي الأحاديث النبوية الصحيحة في الرحمة والترغيب فيها الشيء الكثير ، منها قوله عليه الصلاة والسلام : الراحمون يرحمُهم الرحمن تبارك وتعالى إرحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء . وقولُه :

---

(١) الحِجْر . آية ٤٩ . (٢) الأعراف . آية ١٥٥ .
(٣) التوبة . آية ١٢٩ . (٤) الأنبياء آية ١٠٧ .

من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن هذه الأحاديث يظهر لنا بوضوح تام ، وجلاء لاغموض فيه أن رحمة الله تنزل على المتراحمين . ومن روائع الأحاديث في الرحمة والرحماء الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : أرسلت إحدى بنات النبي عليه الصلاة والسلام إلى أبيها تقول له : إن ابني قد احتُضر فاشهدنا فأرسل يقرؤها السلام ويقول : إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب ، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها . فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي فأُقعد في حجْره ونفسه تقَعقَع (أي تضطرب) ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال : هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب من شاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

يَدُلنا هذا الحديث الشريف على عِظم صبر النبي ﷺ وقوة جلده ومقدارِ استسلامه لحكم ربه ، فضلاً عما في قلبه من رحمة وحنو .

فكر بربك معي : ألنَّبيُّ الرحيم وُضع بين يديه ولد بنته يقاسي آلام النزع ، وشدائد الموت ، وروحه تتردد في صدره ، وهو عليه السلام أرق الخلق قلباً ، وأعظمهم رحمة ، وأكثرهم شفقة ، هل يستطيع أن يمنع عينه من أرسال دموع الرحمة ، تخفف عنه بعض ما يجيش في نفسه من ألم وحزن ، ولو وقف مثل هذا الموقفِ غيرُ النبي عليه الصلاة والسلام لرأيت من جزعه واضطرابه ما هالك . رأى سعد بن عبادة تلك الدموعَ تنحدر على خَدَّيْ رسول الله ﷺ فقال له مستغرباً ـ وقد كان سمعه قبلاً ينهى عن البكاء ـ ما هذا يا رسول الله ؟ يعنى كيف تبكي وقد كنت نهيت عن البكاء ؟ فأجابه الرسول الرحيم

بقوله : هذه رحمة جعلها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء . يعني عليه السلام أن هذه الدموع هي دموع الرحمة التي لايستطيع قلبٌ وضعها الله فيه أن يردها أما البكاء الذي نهى عنه النبي فهو رفع الأصوات بالعويل ، كما نهى عن لطم الخدود وشق الجيوب ، الذي كان يفعله العرب زمن الجاهلية ، ومثله ما يفعله الناس في هذا الزمان في المآتم من الأمور التي لاتمُت إلى الاسلام بصلة ، بل هي إلى الجاهلية أقرب ، كلبس السواد ، وإظهار الحزن المصطنع مدة طويلة ، وإنفاق الأموال الكثيرة على أمور لا يقرها الشرع ، ولا يرضاها العقل ، قضت بها عادات اعتادوها وبدع ابتدعوها لا يستفيد منها الميت ولا أهله ولا الوطن ، ولو صرفت مثل هذه الأموال ، على المشاريع النافعة العمرانية كإنشاء المدارس التي تعلم أبناءنا ماينفعهم في حياتهم ومعادهم ، وتشييد الملاجيء

والمشافي التي تُؤوي العجزة والمرضى ، لكان خيراً لهم وللميت والأمة يقتطفون ثمراته في الحال ويجدون حسن نتائجه في المآل ، يوم لا ينفعهم فيه دينار ، ولا يجديهم إلا صالح الأعمال .

ومن الأحاديث الدالة على رحمته بالأطفال ماروواه البخاري ومسلم : أن النبي عليه الصلاة والسلام قبَّل الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع : إن لي عشَرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر إليه الرسول فقال من لا يَرحمْ لا يُرحمْ . ظن الأقرع أن في تقبيله أولادَه انتقاصاً من حرمته وهيبته ، وحطاً من كرامته وعزته ، فأنكر على النبي الرحيم تقبيله حفيده الحسن ، فأعلمه عليه السلام أن الدافع إلى هذا التقبيل ، إنْ هو إلا عاطفةُ الرحمة ، هذه العاطفة التي يجب أن لا تفارق قلب إنسان في هذا الوجود ، فمن لا يرحمِ الضعيف ولا يعطفْ على الصغير ولا يشعرْ بآلام المتألمين ،

لا يجدْ من يرحمهُ ولا من يعطفُ عليه ، أو يتألمُ لألمه . هذا مثال من رحمته لأولاده وحدَبه عليهم .

وها كم مثالاً من رحمته وشفقته على الخدم الذين لا يمُت اليهم بنسب ولا معرفة . روى مسلم في صحيحه : قال ابن مسعود البدري : كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي : اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام فاذا هو يقول : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فسقط السوط من يدي من هيبته عليه السلام ، وفي رواية فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال : أما لو لم تفعلْ للفحتك النار .

رأى النبي عليه الصلاة والسلام ابن مسعود يضرب عبده فتحركت الرحمة الانسانية التي وضعها الله في قلبه ، وتألمت

نفسه من هذا المنظر ، منظرِ غلام ضعيف بين يدي سيده القوي ينهال على جسمه السوطُ فرفع صوته قائلاً : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام . لو أنعمنا النظر لعلمنا أن أبا مسعود كان يؤدب غلامه لذنب اجترحه ، ومع هذا لم يرضَ النبي عليه السلام مثلَ هذا النوع من التأديب فنهاه عنه بهذا الأسلوب المؤثر ، سمع أبو مسعودٍ صوت النبي فاستحيا منه ، وندم على ما فَرَط منه وتلاشت قُواه ، فسقط السوط من يده ثم قال إرضاءً لله ولرسوله ، وتكفيراً عما بدر منه : يا رسول الله هو حر لوجه الله . رضي رسول الله عما صنع أبو مسعود وقال : لو لم تفعل للفحتك النار . يدُلنا هذا الحديث الصحيح على أن للخدم والعمال حقوقاً تجب مراعاتهـا ، فهم بشر مثلنا يشعرون كما نشعر ، ولهم عواطف لا تختلف عن عواطفنا ، وفيهم عزة وكرامة لا تقل عن عزتنا وكرامتنا ، ليس

لهم ذنب إلا أنهم فقراء جاهلون ، وليس هذا ذنبَهم وحدَهم بل هو ذنب المجتمع كله ، فعلى المجتمع أن يمُد إليهم يد المساعدة ويُنقذَهم من ذل الفقر ، ومهانة الجهل ، وعليهم هم أيضاً أن يَنفُضوا عن أنفسهم غُبار الكسل والخمول ، ويُشمروا عن سواعد الجد والعمل ، ويُصيخوا بسمعهم إلى نصائح الناصحين ويعملوا بارشادات المخلصين ، فالخير لا ينال إلا بالعمل الصالح والجهاد المتواصل ، والتعاون المستمر .

أروني بربكم أمة نهضت من كبوتها من غير أن يساعد قويها ضعيفَها ، وغنيُّها فقيرها ، وعالمها جاهلها ، بل أروني أمة نالت استقلالها من غير أن تتحد أفرادها ، وتجتمعَ أجزاؤها وتتقدمَ صفاً واحداً نحو غايتها ، باذلة كل ما ملكت من قوة : مادية ومعنوية .

إن شعورنا بالواجب هو الذي يدفعنا إلى العمل بالواجب ،

ومن العوامل التي تجعلنا نشعر بهذا الواجب الرحمة ، الرحمة التي يجب أن تكون في قلب كل إنسان حاكماً أو محكوماً : فاذا استولت الرحمة على قلوب الحاكمين حكموا بالحق : نصروا المظلوم وضربوا على أيدي الظالمين ، إذا استولت الرحمة على قلوب الحاكمين ، دفعتهم الرحمة الى العدل فانصفوا الشعب ولم يُحمِّلوه فوق طاقته ، ولم يقصروا في تأمين راحته ، والدفاع عن شرفة وحقوقه ، فاذا تبادلت الحكومة والشعب الرحمة وقام كل بواجبة نحو الآخر حصل التفاهم بينهما ، وتحققت الثقة التي هي أساس تقدم الامم ، وعنوان عظمتها وسيادتها . والسلام على العاملين لخير الإنسانية وسعادتها .

من توجيهات النبي ﷺ الاجتماعية

قال سعد بن أبي وقاص أحدُ العشَرة المشهود لهم بالجنة : جاءني رسول الله ﷺ يعودوني عام حَجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت : يارسول الله ! إني قد بلغ بي من الوجع ماترى وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنةٌ لي ، أفأتصدق بثُلُثَيْ مالي ؟ قال : لا قلت : فالشطر يارسول الله ؟ فقال : لا قلت فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير . إنك إن تذرَ ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس . وإنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها ، حتى ما تجعل في فى امرأتك . رواه البخاري ومسلم .

من الناس كُرماء ، كُرَماء على أنفسهم وأهليهم وإخوانهم

من الفقراء والمحتاجين ، يساعدونهم ويخففون آلامهم ، لايقصرون في بذل ما أنعم الله به عليهم من المال ، في سبيل الخير والإحسان ، ومنهم بخلاء : بخلاء على أنفسهم وأهليهم فضلاً عن إخوانهم المعدمين من أبناء وطنهم . لم يستفيدوا هم أنفسهم في الدنيا من أموالهم ، ولم يُفيدوا غيرهم وستكون في الآخرة شراً عليهم . ومنهم من نمت في نفسه عوامل الخير ، وسمت في روحه محبة الاحسان فدفعته إلى أن يستشير النبي عليه الصلاة والسلام في أن يتصدق بثلثي ماله إرضاء لله ، مدخراً ذلك عنده فلم يوافقه النبي عليه السلام على رأيه ولم يسمح له بأن يتصدق إلا بثلث ماله ، بل أمره بالاعتدال قائلاً : لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس يعنى لأن تترك لهم أموالاً يعيشون بها خير من أن تتصدق بثُلثَيْ مالك وتتركهم فقراء يسألون الناس . وإنك لاتنفق نفقة

فيما يعود عليك وعلى أمتك بالخير مبتغياً وجه الله إلا أثابك الله عليها وضاعف لك الأجر قال تعالى : مثل الذي يُنفِقون أموالَهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتَتْ سبع سنابلَ في كلِّ سُنبُلة مائةُ حبَّة والله يُضاعِف لمن يشاء [1] . وهو سبحانه لا يترك عملاً بلا أجر مهما كان ضئيلاً حتى أنه يثيبك على اللقمة تضعها في فم أمرأتك . ومن الإرشادات النبوية في الصدقة والترغيب في الإسراع بها ، الحديث المتفق على صحته ، وهو : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أي الصدقة أعظمُ أجراً ؟ قال : أنْ تَصدَّق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمُل الغِنى ، ولا تُمْهِل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان . أعظم الصدقة وأفضلها : أن تتصدق وأنت في عُنفُوان شبابك وتمام صحتك ، حريصٌ على المال

---

١) البقرة . آية ٢٦١ .

شحيح فيه خائف من الفقر راغب في الغنى ، لأن تؤخر البذل في وجوه الخير والإحسان إلى أن يدنو أجلك ، وتكونَ من الموت قاب قوسين أو أدنى ، وعندها تعمُد إلى الوصية وتوزع قسماً من مالك على فلان وفلان ، ومالك كله لهما ولغيرهما شئت أم أبيت ، فقد أصبح المال آنئذٍ في حكم الخارج من يدك الصائر إلى ورثتك ، فليس لك في هذا الوقت من أجر الصدقة مثلُ الذي لك فيما لو تصدقت به أيام شبابك وصحتك . ومن توجيهات هذا النبي الكريم الاجتماعية قوله : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جارهُ بوائقَه . رواه البخاري ومسلم سمع الصحابة النبيَّ ﷺ يقول : والله لا يؤمن ويكررها ثلاثاً ، فاستغربوا ذلك وسألوه قائلين : من يا رسول الله ؟ أي من هذا الشقي الذي تنفي عنه الإيمان ؟ فقال : هو الجار الذي لا يأمن جاره

بوائقه : يعنى شروره وإيذاءه فالايمان يقضي على الجـار أن يحسن إلى جاره ، ويعاملَه معاملة الأخ لأخيه ، والصديق لصديقه ولو كان إيمان هذا الجار كاملاً لما أقدم على أيذاء جاره ، مُعْرضاً عن أوامر الله ورسوله ، مُعرِّضاً نفسه لغضبهما ، فعلينا أن نعلم أن للجار على جاره حقوقاً عظيمة جداً ، فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ، وكما يجب على المؤمن أن لايؤذيَ جاره ، وأن يحسن إليه ، يجب عليه أيضاً أن يُحب لاخوانه الخير والسعادة كما يحبهما لنفسه ، وهـذه من الصفات الملازمة للإيمان الذي يحبه الله ورسوله ، ويدفع الإنسان إلى حب الخير لأخيه ليشتركا فيه ، وهكذا حتى يعم الخير الأُمة ، ومن الأمور الملموسة أنه لايمكن أن يكون الفرد سعيداً وأُمته في شقاء ، ولا الغني منعماً وإخوانه من حوله فقراء ، وفي هذا المعنى قال

رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ومن توجيهات النبي ﷺ الاجتماعية أيضاً حثه على مساعدة الأيتام ، والعناية بهم فقد قال : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما . من أفضل الأعمال التي يقوم بها الإنسان وأشرفها أن يتعهد اليتيم بالتربية والتعليم ، وبما يحتاج إليه من مساعدة وخدمة ، وأن يكفُلَه إلى أن يبلغ أَشُدَّه ، ويصيرَ قادراً على أن يتولى شؤون نفسه بنفسه ويستقل بادارة أعماله ، وقد بشر النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث كافل اليتيم بأنه معه في الجنةوهذه من أعظم البشائر لمن يساعد اليتيم ويحسن إليه . ومن التوجيهات التي لها عظمتها أيضاً ، الترغيب في العناية بالزراعة وغرس الأشجار ، قال ﷺ :مامن مسلم يغرس غرساً ، أويزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة

رواه البخاري . نرى الحكومات كلَّها تحث شعوبها على بذل جُهودها في سبيل غرس الأشجار وترقية الزراعة ، وتبذل الأموال العظيمة لزيادة الإنتاج ، لما في ذلك من الفوائد التي تتوقف عليها حياة الأفراد والجماعات ، أيام السلم والحرب ، وقد رغَّب عليه الصلاة والسلام أمته في هذه الناحية ، فاندفعوا بدافع الإيمان إلى الجد والعمل حتى بلغت الزراعة أيام عزهم ، وازدهار دولتهم درجة عظيمة من الرقي والتقدم . فعلى الأمة أن تتسابق إلى كل ما يعود عليها بالخير والفلاح في الدنيا ، والسعادة والنجاح في الآخرة .

•••○○•••

من التوجيه النبوي ، في آداب الطعام

قال أبو حفص عمرُ بن أبي سلمةَ ربيبُ رسول الله ﷺ : كنت غلاماً في حجْر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي : يا غلام : سَمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك ، فما زالت تلك طِعمتي بعد . رواه البخاري ومسلم . من العادات السيئة أن يأكل الإنسان بيده اليسرى ، ويأكل لقمة مما يليه ، وأخرى مما يلي جاره الذي عن يمينه ، وجاره الذي عن يساره فنرى يده تتنقل في صحفة الطعام من ناحية إلى غيرها غير مبالٍ بجلسائه ولا باشمئزازهم من عمله ، ولا شاعرٍ بنقدهم إياه واستخفافهم به لعدم احترامه حقوقهم فعلينا أن نتأدب بأدب هذا النبي الكريم ، وأن نعمل

بإرشاداته وأن نقوم بتنفيذ أوامره كما فعل هذا الغلام فقد سمع نصيحته ووعاها وعمل بها حياته كلها .

ومن إرشاداته عليه الصلاة والسلام قوله : ماملأ آدميٌ وعاءً شراً من بَطْنه وبحسْب ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقمن صُلبه فان كان لامحالة فثُلُث لطعامه ، وثُلث لشرابه ، وثُلث لنَفَسه .

يرشدنا هذا الحديث الشريف إلى الاعتدال في الأكل والشرب ، وينهانا عن أن نملأ بطوننا طعاماً وشراباً حتى لا ندع فيها فراغاً نتنفس منه ، ولا يخفى على العاقل مافي ذلك من الأضرار الصحية التي لا يماري فيها عاقل ، ولايجادل فيها إلاجاهل ، وقد قالت الحكماء : رب أكلة منعت أكلات ورب بِطنة ذهبت بحياة . فعلينا أن نكتفي من الطعام بمايحفظ علينا حياتنا ، ولا يُضعف قوتنا . والعمل بهذا الحديث كفيل بكل ذلك . ومن آداب الطعام المحافظة على حقوق صاحب

الوليمة وتوجيه الضيف إلى أمر مهم جداً يجب عليه أن لا يهمله وهو أن لا يُحضر معه أحداً غير مدعوٍ ، فقد يكون الطعام لا يكفي غير المدعوين ، وقد يكون هذا الرجل الذي أحضره الضيف غير مرغوب فيه فيعكر على الجميع صفاءهم ، وتنقبض بوجوده نفوسهم لذلك وجب على الضيف إذا أحضر معه أحداً أن يستأذن صاحب الدعوة فان أذن له دخل وإلا رجع من غير أن يتألم منه أو يحقد عليه لأن لصاحب الوليمة الحقّ في الإذن وعدمه وله الحرية التامة في أن يمارس حقه كاملاً ، وليس في الاستئذان أيُّ غضاضة فقد استأذن النبي ﷺ كما ترى في هذا الحديث الذي روي عن أبي مسعود البدريّ قال : دعا رجل النبي ﷺ لطعامٍ خامسَ خمسة فتبعهم رجل : فلما بلغ الباب قال له النبي عليه الصلاة والسلام : إن هذا تبعنا فان شئت أن تأذن له وإن شئت رجع قال بل أذنت له يا رسول الله .

ومن أدب المدعوين إذا جلسوا أمام مائدة الطعـــام أن لا يبدأ أحـد بالأكل قبل أن يمد يده أكبر الجالسين سناً ، أو أعظمهم فضيلة لا كما يفعله بعض المغرورين بأنفسهم ممن يتقدمون في المجالس ، ويتصدرون في كل حفل ، ظانين أنهم هم سادة الموقف ، وخيرة النـاس وفي الحقيقة ليس لهم فضيلة من الفضائل تقدمهم على غيرهم ، لاعلم عندهم ولا كرم ، ولا خلق ولا إحسان . ليس عندهم من الفضائل إلا أنهم أغنياء ، خُدعوا بأموالهم فظنوا أنها هي الجامعة لـكل الفضائل ، جهلوا أن المال وحده لا قيمة له وأنه لا يُشرِّف صاحبه إلا إذا أنفقه في وجوه الخير ، وفيما يعود على الأمة والوطن بالنفـع ، جهلوا هذا كله فتخطوا حدودهم واجتازوا منزلتهم فترفعوا على أولى الاسنان والعلم ، وأهل الأدب والنبل ، فعلى أمثال هؤلاء بل علينا جميعاً أن نقف عند حدودنا وأن نتأدب بأدب أصحاب النبي الـكريم فقد قال حذيفة رضي الله عنه : كنا إذا حضرنا

مع رسول الله ﷺ طعاماً ، لم نضع أيدينا حتى يبدأ النبي ﷺ فيضعَ يده .

ومما ورد عن النبي ﷺ في الوليمة قوله : بئس الطعام طعام الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ويُترك الفقراء .

كثير من الأغنياء لا يدعون لولائمهم إلا الأغنياء أمثالهم ولا تجد على موائدهم إلا الأثرياء ، يقدمون إليهم أطيب الطعام وأفخر أصنافه ، وأثمن أنواعه ، يسرفون في ذلك ويسرفون حتى أن بعضهم يضع على الموائد من الزهور ما يكفي ثمنه لإطعام العشرات من الفقراء الذين ليس لهم من موائد الأغنياء أيُّ نصيب بل لا يمكن لهؤلاء الفقراء أن يحلُموا بفُتات تلك الموائد ، وما ذلك إلا لقساوة الأغنياء ، وتَحجُّر قلوبهم حتى صاروا لا يشعرون بآلام البؤساء ، ولا ببؤس الفقراء ، وأصبحت الرحمة بعيدة عنهم بعد الأرض عن السماء . فمثل هذه الولائم

قد ذمها نبي الرحمة ، ورسول الإنسانية ورغب في إطعام المُعدِمين ومساعدة المساكين ، والعطف على البائسين .

ومما ورد في الأحاديث فيما له علاقة في الطعام قوله ﷺ: ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده . يوجه المرشد الأعظم الأمة إلى العمل والجد ويحثها على العزة والكرامة ويبين لها أن أطيب الأطعمة وأشرفها هو الطعام الذي تأكله بعرق جبينك ، وتحصُل عليه بجدك واجتهادك ، وتظفرُ به بيمينك ، فالرغيف الذي تناله بعملك ، وتأكله بجهدك ، خير لك من مائدة عليها من الأطعمة أفخرُها وأطيبها ومن الأنواع احسنُها وأغلاها يقدمها إليك غيرك ثم يمُن بها عليك .

ولا يظنن أحد أن في عمل اليد ذلاً أو صغاراً ، فالذل

والصغار هو أن يكسَل المرء ويتقاعسَ عن العمل ، ويُخلدَ إلى الراحة فيضطرَّ إلى أن يمد يده للناس مستجدياً عطفهم وإحسانهم ، فالعمل من أشرف ما يُقدم عليه أصحاب المروءة وأهل الهمة ولو لم يكن العمل كذلك لما أقدم عليه الأنبياء الذين هم خلاصة البشر صلى الله عليهم .

عزة النفس

من الناس من يطيب لهم أن يتطفلوا على موائد الناس ، يسعون لأن يكون غداؤهم عند فلان ، وعشاؤهم عند آخر ، ولهم في ذلك أساليب عجيبة ، لا يبالون أن كان ذلك من وجه شريف أو دنيء ، حلالٍ أو حرام .

ومنهم من يعمل بيده ، ويكسب بعرق جبينه ليأكل طعامه حلالاً طيباً ، لافضل لغير الله عليه . وهذا خير الطعام وأشرف الكسب .

داؤنا ودواءنا

عـلامَ تتخاصمون وفيم تختلفون ؟ أليس إلهـكم الذي تعبدونه واحداً ؟ . وقرآنكم الذي هو دستوركم واحداً . ونبيكم الذي أرسله الله اليـكم وإلى الناس كافة واحداً ، ألستم مؤمنين بهذا كله ؟ نعم إننا مؤمنون ، إذاً لماذا هذه المخاصمات بينـكم لا تُطفأ نارها ، ولا يسكن أوارها ، ولأي شيء تلك المحاورات والمجادلات تملأ الصحف والمجلاتِ ؟ وتُؤلَّف فيها الـكتب ، وتُحبَّر المقالات ، والتي جعلت الأمة الواحدة فِرقاً وأحزاباً ، كل فِرقة منها تضلل الاخرى وتُلصِق بها من التهم ما كان وما لم يـكن بلا تثبت ولا ورع ، ولا خوف من الله ولا جزع . فِرقة تَصِم أخرى بالخُرافة والابتداع في الدين ، وتقول لها :

أنتم مشركون أنتم عباد قبور وأوثان تباح أموالكم وأرواحكم واحتجوا بالكتاب والسنة ، فدافعت هذه عن نفسها ثم قالت : نحن متبعون لا مبتدعون ، أما أنتم فقد أنكرتم التوسل بالأولياء والأنبياء وإن إنكاره استخفاف بقدرهم ، وحط من كرامتهم وإيذاء لهم وعداء ، ومن آذاهم وعاداهم فقد ضل سواء السبيل واحتج هؤلاء أيضاً بالكتاب والسنة . وهناك شيعة تقول لأخرى : أنتم لا تحترمون أهل بيت النبي ﷺ ولا تحبونهم أنتم آذيتموهم ومن آذاهم فقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام ومن آذاه فقد آذى الله، لهذا أنتم أعداء الله وأعداء رسوله ، واحتجوا بالكتاب والسنة فأجابتهم هذه وقالت : نحن نحبهم ونحترمهم ولكن ضمن حدود الشرع بحيث لا نُخرجهم عن بشريتهم أما أنتم فقد تجاوزتم حدود الله في هذه المحبة وغلوتم حتى حملكم هذا الغلو إلى إنكار قسم كبير من السنة الثابتة ودفعكم الى تكفير قسم من الصحابة الأجلاء الذين شهد لهم

النبي عليه الصلاة والسلام بالإيمان والجنة ، وأولتم بعض آيات الله وأحاديث رسوله حسَب أهوائكم وأغراضكم ، وقد تمادت طائفة أخرى بالغلو حتى خرجت من الدين بالكلية فقد طعنت بالرسالة وخطأت جبريل الأمين . وهناك أحزاب وشيع وطرق وفرق ،وكلٌ منها يطعن الآخر ويُخوِّنه ، ويجهله ويضلله ، ويحجز الدين والوطنية لنفسه وحزبه ، وهذا سر تفرقنا ، وأسس ضعفنا وخذلاننا .

وهنا وقف القلم حائراً والقلب واجفاً ، والعقل ذاهلاً ثم استفاق من ذهوله وقال : ما هذا الخلاف بين الأمة الواحدة ، وما سبب هذا التطاحن الذي يرجع إلى عدة قرون وقد اشتغل به علماء كل عصر ، وعالجه مصلحوا كل مصر ، والخلاف هو هو بل كلما حاولوا القضاء عليه ، توسع الخلاف وتفاقم شره ، فهل هو يا ترى بهذا المقدار من الصعوبة والغموض ، حتى لم يستطيعوا حسمه أو إيقافه وحصره .

خبروني بربكم هل يُسلِّم العقل أن قرآناً جمع في الماضي ، الأبيض والأسود ، والأصفر والأحمر ، ووصل ما بين أهل الشرق والغرب ، والشَّمال والجَنوب ، وآخى بين العربي والعجمى ، والهندي والصيني ، وألف قلوبهم يعجزِ الآن عن جمع كلمة الإخْوة المؤمنين وربط قلوبهم أجمعين ، إذا هم أخلصوا النية لله ولم ينتصروا لنفوسهم ، ولم يتعصبوا لآراء شيوخهم وزعمائهم ، ولم تستعبدهم عادات أزمنتهم ، ثم حكَّموا بينهم كتاب الله ، واستسلموا لسنة رسول الله ، ولم يجدوا حرجاً في صدورهم مما قضى الله وقضى رسول الله .

إنني لا أشك أبداً بأنهم لو اجتمعوا وأجمعوا أمرهم على هذه الأسس الشرعية ، لألف الله بينهم ، ولجمعهم على الهدى والتقوى ، ولكن أنَّى لهم ذلك والأهواء تتجاذبهم والأنانيات تتقاذفهم ، والكِبر يسيطر على عقولهم ، وحب الغلبة يملأ

نفوسهم ، والغرور يُهيمن على تفكيرهم ، والعادة تمكنت في قلوبهم حتى أصبحوا يحتجون بها على الديانة .

كيف يتفقون ؟ وكل منهم لا يعترف بصواب أخيه مهما كان واضحاً ، ولا يقر بخطأ نفسه وإن كان فاضحاً ، فقوله الحق والصواب ، وقول غيره الباطل والضلال .

على رِسلكم أيها الإخوان فقد كفانا فِرقة وتخاذلاً ، كفانا ذلاً وعاراً ، فقد أصبحنا أضحوكة الأمم وسخرية الشعوب أما آن لنا أن نتحد ونتحابب ؟ وأن نتصافى ونتقارب ، أما آن لنا أن نعتصم بحبل الله ونستعين بالله ونرجع في جميع أمورنا إلى كتاب الله وسنة رسول الله حتى لا ندع للشيطان علينا سبيلا ، ولا نفتح لأي عدو إلينا طريقاً ، أما آن لنا نستيقظ ونعمل ؟ أما آن لنا أن نُفتِّح أبصارنا وبصائرنا ونرى ما يُبيِّته لنا أعداؤنا ، ومايَحشدون من عَدد وعُدد للقضاء علينا وإذلالنا

هم يبذلون جهودهم ليحتلوا البقية الباقية من بلادنا ويستثمروا كنوزها وخيراتها ، ونحن ماذا نعمل ؟ نعمل على تفريق كلمتنا وتمزيق صفوفنا ، وذهاب ريحنا وقوتنا ، لنكون لقمة سائغة في أفواههم . أما آن لنا أن نجمع أمرنا ونقف صفاً واحداً في وجوه أعدائنا ؟ باذلين أموالنا وأرواحنا في إعلاء كلمة الله ربنا لنكون حِراباً مسمومة في حلوق من يريد ازدرادنا ؟ بلا والله قد أنى لنا .

إذاً علينا أن نترك هذه الأحن والسخافات التي ورّثنا أياها الجهل والغرض ، وأن نرجع إلى الله ورسوله ونُحكّمهما في كل خلاف وقع ويقع بيننا ، راضين مستسلمين ، طائعين ممتثلين ، قال تعالى : فلا وربكَ لا يؤمنونَ حتى يُحَكِّموكَ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ ويُسلِّموا تسليما[1]

---

(١) النساء آية ٦٤ .

من ذكريات الطفولة

إن مرحلة الطفولة الأولى عجيب أمرها ، لا يستطيع أحد من البشر أن يصفها ، أو يُلم بشيء من أسرارها ، أو يعرف ذرة من حقائقها ، مع أن كل واحد قد دخل فيها واجتازها .

قد استطاع الإنسان بعقله وعلمه ، وجده واجتهاده أن يطير في السماء ، ويغوص في البحار ، ويتسلق شوامخ الجبال ، واستطاع أن يُسخر الطبيعة لأغراضه وآرابه ، ولكنه وقف على عتبة الطفولة الأولى مشدوهاً ، لا يفقه شيئاً من أسرارها مع أنه عاشرها وسايرها مدة سنتين ، لذلك نجد البحث في استكناه خفاياها نوعاً من العبث وضرباً من الأوهام ، إذاً فلنترك الحديث عن هاتين السنتين الغامضتين ، ولنتحدث عما

بعدهما ، فقد يكون فيه شيء من الفائدة والطرافة .

قال أحدهم : جلست يوماً أفكر فيما مضى من أيام حياتي وأستعرض الحوادث الخاصة بي ، وتأثيراتها في نفسي وتفكيري وكلما تذكرت حادثة اجتهدت أن أتذكر التي قبلها ، وهكذا حتى استقر بي المطاف إلى زمن طفولتي . أذكر أنني بينما كنت في حجْر والدي أعبث بأزرار ثوبه البراقة تارة ، وأحدّق نظري في وجهه المشرق أخرى ، وتداعب يدي الصغيرة لحيته السوداء المشوبةَ بشيء من الشيب ، إذ نظر اليَّ مبتسماً ووضع في فمي قطعة من الحلوى ، فالتهمتها بشوق وسرور . ثم تذكرت أن هناك حادثة قبل هذه ، وهي أن والدتي عليها رحمة الله كانت سخية في بذل ما في يدها من مال في وجوه الخير ، كما كانت سخية في إرضاع أولادها وغيرهم ، وكانت غزيرة اللبن جيِّدتَه ، فكلما سمعت برضيع يتيم ، أو والدة قليلة اللبن أو مريضة ،

أرسلت إلى أهله لترضعه مبتغية بذلك رضا الله ، تدفعها الرحمة وتسوقها الشفقة . وكانت رحمها الله تُرضع أولادها سنتين ثم تَفطمهم ، فلما حان وقت فِطامي ، جئت إليها لأرضع كعادتي فإذا بها قد قطَّبت في وجهي وقالت : كَخ كَخ ، فلما أصْرَرتُ على الرَّضاع ، أخرجت ثديها فإذا هو أسود اللون ، على خلاف ما أعهده ، فوجمت بادىء ذي بدء ، ثم دفعني الجوع والعطش فأقبلت عليه ، وهي لا تشك بأنني حينما أضعه في فمي وأتذوق مرارة الصبر الذي عليه أتركه كارهاً ، وكان الأمر كما قدَّرَتْ ولكني سرْعانَ ماعدت إليه قابضاً بيَدي الصغيرتين عليه قائلاً بنفسي : إن هذا الشيء الأسود لم يكن صباحاً ، ولعله طلاء يموهون به عليَّ لأكره الرضاع ، إذن عليَّ أن أرَضع وأن أصبر على المر عساه يزول وهكذا كان ، رضِعت صابراً ومازلت أرَضع ومازالت المرارة تضعف شيئاً فشيئاً حتى تلاشت

وأصبح غذائي كالمعتاد لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . تعجبت والدتي من صنيعي هذا وتعجب منه كل من شاهده وسمع به ، ولما كبرت سني كانت والدتي تحدثني به مستغربة ، وأنا أقول لها : إنني أذكر هذا الحادث جيداً ولا أنساه .

وهنا أقف قليلاً وأقول : من يدري ؟ لعل هذه الحادثة البسيطة ، هي التي طبعتني على أن لا أُخدع بمنظر ، جميلاً كان أو قبيحاً ، فقد يكون وراء هذا الجمال قبح تنفر منه النفوس ، وقد يختفي تحت ذاك القبح جمال تتعشقه العقول وتهفو إليه القلوب . وإنني بحمد الله ، من ذلك العهد حتى اليوم ، لا أذكر أنني استسلمت لمظهر مهما كان خلاباً ، ولا اغتررت بزخرف أو تمويه مهما كان جذاباً ، ولا خُدعت بقول ولو كان بليغاً ، ولا بعلم أو مال وإن كان غزيراً ، لا أُبالي بهذا كله ، إلا إذا كانت وراءه أخلاق فاضلة ، وأعمال نافعة ، وإنسانية كاملة ورحمة

شاملة ، وإيمان لا تتلاعب فيه الأهواء ، ولا تُشوِّه جماله الأغراض ، ولا تذهب به الشهوات والأطماع .

وإنني لا يستهويني الرجل حسن السمت جميل المنظر ، كثير المال عريض الجاه ، إلا إذا كان حافظاً للعهد صادق الوعد عفيف النفس طاهر اليد كريم الخلق ، لا يقول هجراً ، ولا ينقُض عهداً ، ولا يكذب قولاً ولا فعلاً ، إذا عاهد لم يغدِر وإذا خاصم لم يفجُر ، وإذا باع لا ينكل ، وإذا وهب لا يرجع بهبته كالكلب يرجع بقيئه .

غنيَ القلب معتزاً بربه ، زاهداً بما في أيدي الناس ، لا يحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يحقرهم ولا يبهَتهم .

لقد سايرت دهري سنين كثيرة ، وحلبت شطريه : حلوه ومره ، وعرفت أهله : علماء وأدباء ، أساتذةً وأطِباء ، وُعَّاظاً وخطباء ، وعركت جميع الطبقات فوجدت الكثرة منهم

مستعبدة لشهواتها وميولها ، أسيرة لغرائزها وأطماعها ، مستسلمة لنفوسها وعاداتها ، لا تعرف الشرع إلا إذا كان الشرع في في مصلحتها ، ولا تجنح للقانون إلا إذا ساير القانون غايتها ودعم أغراضها ، أما إذا خالف الشرع أهواءها ، وجانب القانون منافعها ، ضربت بهما عُرض الحائط ، ففكرتْ وقدرتْ ثم اخترعت للشرع والقانون قواعد وأعرافاً ، تساير أهواءها وميولها ثم قالت : هذا هو الشرع وهذا هو القانون ، ثم دفعها غرورها وكبرياؤها إلى أن تقول : إن كل من لا يقول بقولي ولا يؤيد فكرتي ، ولا يعتنق مذهبي ، فهو غِرٌّ جاهل لا يعرف شرعاً ولا يفقه قانوناً .

على رِسلكم أيها المغرورون ! لا تجعلوا الشرع والحق ألعوبة بين أيدي شهواتكم وأطماعكم ، ولا تستعملوا ما أنعم الله به عليكم من علم وفصاحة ، وحجة وبلاغة في معصية الله

لا . . لا تفعلوا ذلك لتستطيعوا اليوم أن تسيروا بين إخوانكم ومواطنيكم رافعي الرؤوس ، موفوري الكرامة ، ولتستطيعوا غداً أن تقفوا بين يدي الله ربكم نقية قلوبكم ، طاهرة ذممكم .

لا تستجهلوا الناس يا سادتي ! فقد أصبحوا يعلمون ، ولا تظنوهم عمياً ، فإنهم يبصرون ، وإن لهم عقولاً قد تكون أرجح من عقولكم ، وأفكاراً قد تكون أوسع أفقاً من أفكاركم .

على رِسلكم أيها المغرورون واعلموا أن فضل الله لا يُحد ، ونِعَمَه لا تُحتكر ، يمن بها على من يشاء هو ، لا على من تشاؤون أنتم .

نسأل الله تعالى أن يُعرِّفنا حقيقتنا ، حتى لا نغتر بأنفسنا وأن يجعلنا أعبُداً للحق ، نسير خلفه حيث سار ، وندور حوله أنّى دار مؤثرينه على أنفسنا وشهواتنا ، وميولنا وأطماعنا ، إنه سميع الدعاء .

الخمر وتحريمها

أحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين . وبعد فقد زادت جُرأة الجاهلين وطالت ألسنتهم على العلماء المتخصصين ، فترى الواحد منهم يخوض في كل بحث ، ويناقش في كل فن ، ويجادل في كل علم ، ورأسه فارغ من جميعها ، فراغ إناء ملأه الماء ، من الهواء ، يخوض في التجارة والزراعة ، والاقتصاد والصناعة ، والاجتماع والسياسة ، كما يناقش الحقوقيين والأطباء والمهندسين والأدباء والفلاسفة والحكماء ، يناقش جميع هؤلاء ، وينتقدهم ويسفه أحلامهم ، ولو استند هذا وأمثاله في ذلك إلى علم صحيح ناضج وعقل رزين راجح لهان الأمر ، وسهل الخطب ، ولكنهم

يسيرون في أبحاثهم سير رجل أعشى في ليلة من ليالي الشتاء ، شديدة الظلام لا يهتدي فيها المبصرون .

قلت زادت جُرأة الجاهلين ، نعم زادت ثم زادت حتى خرجت عن حدود الجرأة ، ودخلت في صميم الوقاحة ، وأي وقاحة أعظم من وقاحة من يجادل علماء الحديث الذين أفنَوْا أعمارهم في حفظه وعلومه ، وفهم أصوله وفروعه ، ومعانيه ومصطلحه ، أضف إلى ذلك ماهم عليه من دين وتقوى ، وإخلاص لله وخشية . يجادل أمثالَ هؤلاء العلماء الأجلاء ، وهو لا يستطيع أن يميز صحيح الأحاديث من فاسدها ، ولا حسنها من ضعيفها ، ولا يفهم شيئاً من معانيها ، بل لا يستطيع أن يقرأها صحيحة مستقيمة . ويخوض أيضاً في آيات الله تعالى : فيشرح ويفسر ، ويُجمل ويُفصّل ، يصحح أقوالاً فاسدة لم يرد فيها حديث صحيح ، ولم يقلها صحابي جليل ، ولا عالم من

علماء التفسير والحديث ، ولا غيرهم من أئمة اللغة وأساطين الشريعة ، ويُضَعِّف أقوالاً صحيحة دل على صحتها الكتاب والسنة ، وأئمة الدين واللغة ، يصحح هؤلاء المغرورون ويضعفون ويناقشون ويجادلون ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وهم قسمان : أحدهما مستأجَر وهذا لا تنفعه حجة ، ولا يفيده برهان ، لأنه ساثر وراء غاياته ومنافعه ضمن خُطة مرسومة له لا يستطيع ان يَحيد عنها قدر أُنمله ، فلا سبيل إلى إقناعه .

والقسم الآخر ضعيف الإرادة ، طيب القلب خدعه هذا المستأجَر واستولى على أفكاره فراح يردد أقواله ، وينشر آراءه ، ظانًّا أنه يخدم الحقيقة وينصح الأمة . ولو أتاح الله لهذا القسم الطيب رجالاً من أهل العلم يدعونهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويُعلِّمونهم قواعد الدين خالية من شوائب التعقيد ، صافية من أدران التقليد ، بعيدة عن

خرافات القديم والجديد ، لما وجد المستأجَرون من هؤلاء الطيبين أصحاب الفِطَر السليمة إصغاء وقبولاً ، بل وجدوا إعراضاً ونفوراً ، لأن قلوبهم عامرة بالايمان ، مفعمة بالعلم وقواعد الاسلام ، وحينئذ ينقلب المستأجَرون على أعقابهم خاسرين خائبين . فالدعوة الصادقة الحكيمة . تأخذ طريقها إلى القلوب المؤمنة . هاكم مثلاً : دخل شاب تلوح على وجهه علائم النباهة والذكاء ، وتظهر على أساريره سيما الطهر والصفاء على أستاذين يتباحثان في الخمر وأضرارها ، وما ورد من الآيات والأحاديث في تحريمها ، وفي أقوال العلماء في تعريفها وصفاتها.

وما أن سمع هذا الشاب كلمة التحريم حتى قال : وهل الخمر محرمة ؟ ومن أين جاء هذا التحريم وليس في كتاب الله آية تنص على تحريمها .

فأجابه أحدهما قائلاً : إن الأدلة على تحريم الخمر متوفرة

في الكتاب والسنة ، ولكن لما كانت الخمرة متمكنةً من نفوس العرب ، ممزوجة بدمائهم ولحمهم ، مستولية على عقولهم ، لا يستطيعون تركها دفعة واحدة أراد الله أن يحرمها على مراحل ، وهذا هو الأسلوب الحكيم الذي جرى عليه القرآن الكريم .

المرحلة الأولى قوله تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس ، وإثمهما أكبرُ من نفعهما [١] . فقال ليس في هذه الآية شيء من التحليل والتحريم ، بل فيها إخبار أن في الخمر والميسر إثماً كبيراً ، وأن فيهما منافع للناس وأن إثمهما أكبر من نفعهما لا أكثر ولا أقل . فتابع الأستاذ بحثه وقال :

المرحلة الثانية قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى حتى تعلموا ما تقولون [٢] . فقال الشاب:

---

(١) سورة البقرة . آية ٢١٩ .

(٢) سورة النساء . آية ٤٢ .

وهذه الآية تنهانا عن الصلاة ونحن سكارى لا نفقه ما نقول ، ولا علاقة لها في تحريم الخمر ولا تحليله ، فنتشاغل عن إجابته وقال : المرحلة الثالثة والرابعة قوله سبحانه : إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشَّيطانِ فاجتنبوه لعلكم تُفلحونَ ، إنما يُريدُ الشَّيطان أن يُوقعَ بينكم العداوةَ والبغضاء في الخمرِ والميسرِ ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم مُنتهونَ .[1] فأجاب مسرعاً وقال : وليس في هاتين الآيتين تصريح بالتحريم : فكون وصف الله الخمر بالرجس وأمر باجتنابه شيء والتحريم شيء آخر ، فقد يُستقذر الشيء ويُؤمر الناس باجتنابه على سبيل التنفير منه والبعد عنه لا على سبيل تحريمه . ولو كان القصد من الأمر في قوله تعالى : فاجتنبوه التحريمَ لقال : فاجتنبوه فإني قد حرمته عليكم . وقوله : فهل أنتم منتهون لا يختلف عما تقدم بأنه ليس فيه تصريح بالتحريم

(١) المائدة . آية ٩٣ و ٩٤ .

ثم استشهد بقوله سبحانه : حُرِّمتْ عليكم الميتةُ والدم ولحم الخِنْزير إلى آخر الآية [١] . ثم قال لم تأتِ هذه الآية على ذكر الخمر . ولو كانت محرمة لذكرها . وبقوله تعالى معلماً رسوله ﷺ : قل لا أجد في ما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّماً على طاعمٍ يَطْعَمُه إلاَّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خِنزير [٢] . ولم يذكر في هذه الآية الخمر أيضاً ، ولو كانت محرمة لذكرها سبحانه ومما تقدم ظهر لنا جلياً أنه ليس في القرآن الكريم أية تصرح بتحريم الخمر ، وكل ما هنالك تنفير منها لما فيها من أضرار أخلاقية واجتماعية ، ومثلها الميسر الذي هو القمار . فلما وصل الشاب إلى هنا سكت ، مما دل على أنه أفرغ جميع ماعنده من حجة أُلقيتْ إليه ، ونثر كل مافي كِنانته من برهان لُقِّنَه . فأقبل عليه الأستاذ بوجهه وقال : قد ظهر لي من حديثك أنك

---

(١) المائدة . آية ٤ .

(٢) الانعام آية ١٤٥ .

شاب ذكي مؤمن تحب دينك وتغار عليه ، كما أنك شغوف بالبحث عن الحقيقة والوقوف عليها فقال : نعم يا أستاذ فقد درستَ في هذه الجلسة العابرة نفسيتي ، وسبرت أخلاقي وعقيدتي والكثير من أحاسيسي ، فإني بحمد الله شاب مؤمن أفعل ما أمرني ربي ، وأبتعد عما نهاني . فقال الأستاذ : وظهر لي أيضاً أن لك أستاذاً فصيحَ اللسان ، قوي البرهان ، تعتمد عليه وتثق بكل ما يقول ، ولا تشك بشيء مما يقرره ، وأن الحديث الذي ذكرته في موضوع الخمر مما استفدتَه منه ، فتهلل وجهه وقال : صدقت فهو من أعظم الناس علماً ، وأوسعهم اطِّلاعاً ، فنظر إلى الشاب نظرة عطف وقال : إنني يابني أُحب لك الخير ، وأُحبه لكل إنسان كما أُحبه لنفسي لأن الخير مشاع للجميع يمكن أن يتمتع به كل فرد من أفراد المجتمع و ينتفع به لذلك أرجو منك أن تُصغي لحديثي بقلبك وعقلك وروحك

عسى أن تجد فيه ما يفيدك في مستقبل حياتك .

فقال : تفضل فكل حواسّي مصغيةٌ إليك ، فقال : سمعتَ مني آنفاً أن الله جلت حكمته قد أراد أن يحرم الخمر على مراحل لأن ذلك أسهل على النفوس من تحريمها دفعة واحدة فبين سبحانه بادىء بَدء أن في الخمر والميسر إثماً كبيراً وفيهما منافع للناس ولكن الإثم أكبر وأعظم من تلك المنافع ، (وهذه المنافع مالية وتجارية لا صحية كما يتوهم البعض) ومن الطبيعة الإنسانية أنها لا تقدم على أمر ضرروه أعظم من نفعه وخساره أكبر من ربحه .

ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الصلاة في حالة السكر على أثر قراءة أحدهم وهو في الصلاة : يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بدلاً من قوله : لا أعبد ماتعبدون ولم يتعرض للخمر التي سببت الإسكار وأدت إلى هذا التحريف القرآني الخطر

وهذا من الأسلوب الحكيم الذي جرى عليه القرآن الحكيم ماذا فعلت هذه الآية ؟ قد أثرت في نفوس المؤمنين ومنعتهم من شرب الخمر في أكثر أوقاتهم ، منعتهم أن يشربوها بعد صلاة الظهر والعصر والمغرب لقرب هذه الأوقات بعضها من بعض ، واقتصروا على شربها عقب صلاة العشاء لبعدها عن صلاة الفجر فاعتادوا على ذلك . وإن وجدوا فيه صعوبة أول الأمر .

ثم وصف الخمر سبحانه بأوصاف تشمئز منها النفوس السليمة ، وصفها بالرجس وهو القذر ، وأمر باجتناب الرجس ، فاذا لم نجتنبه ولم نطع الله ألا نكون عاصين له ؟ وهل معصيته حلال أم حرام ؟ قليلاً من التفكير أيها المنصفون . وبعد هذا يبين جلت حكمته أن الخمر وسيلة من وسائل الشيطان يستطيع بها أن يوقع العداوة والبغضاء بيننا ، وأن يفرقنا ويمزق صفوفنا

وحينئذ نفشل وتذهب ريحنا ، ويستطيع أيضاً أن يصدنا عن ذكر الله وآياته ، وعن الاهتداء بشرع نبيِّه ، وعن الصلاة التي هي من أعظم أركان الاسلام ، فاذا تداعى هذا الركن يوشك أن يتداعى سائرها ، فيا أخي الشاب المؤمن ، بل يامن عندهُ مُسْكةٌ من عقل ، أو شيءٌ من فكر ، أو أثارة من علم ، وقليل من إنصاف ! شيء يذهب بعقولنا فلا نعي مانقول ، ولا نفهم مانسمع ، وهو رجس وقذر . شيء يُورِّث بيننا العداوة والبغضاء ويصدنا عن ذكر الله وعن الصلاة ، وعن كل ماينفعنا في دنيانا وأُخرانا ، شيء يسبب لنا كل هـذه الأضرارِ الأخلاقية والاجتماعية والصحية والمالية ، شيء يؤثر علينا هذا التأثير السيء هل يمكن أن يكون مباحاً ؟ وخصوصاً في الشريعة الاسلامية التي تحرم على الإنسان أن يؤذي أخاه أو مجتمعه ولو بمقدار الذرة أو يُسيء إليه ولو بكلمة واحدة .

بعد هذا التوضيح والبيان أعتقد أن ماتقدم كافٍ لأن نؤمن إيماناً لا شك فيه أن الخمر حرام ، وأنه لا يجوز لنا أن نلتفت إلى من يقول غير هذا ، فهو إما جاهل مغرور ، أو عالم مغرض ، أو ساذج مخدوع .

وإتماماً للبحث أُورد بعض الأحاديث المصرحة بتحريم الخمر على اختلاف أنواعها وأسمائها ، والتي تردُّ أقوال من يدعي أن الكنياك والبيرة والنبيذ وغيرها من المشروبات التي تفنن الشرق والغرب باختراعها ، واختراع أسماء لها ليست داخلة في التحريم مدعين أن هذه الأسماء لم ترد في القرآن ولا في الحديث .

من هذه الأحاديث الصريحة مارواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي قال رسول ﷺ : كل مسكر خمر . وزاد في رواية : وكل خمر حرام . فهذا الحديث على إيجازه واختصاره كافٍ لأن يفهم منه الجاهل والعالم ، بل الناس أجمعون : أن

المسكرات التي وُجِدت حتى اليوم ، والتي ستوجد في المستقبل كلها خمر ، وكلها حرام بنص الحديث . بقي علينا أمر خطر جداً تجب معالجته وهو أن بعض الأساتذة والدعاة ، المندسين بين طبقة طلاب العلم والعلماء يقولون : إننا لسنا مقيدين بالحديث ، ولسنا بحاجة إليه ، فالقرآن يكفينا ، ويستشهدون على صحة أقوالهم بقوله تعالى : مافَرَّطنا في الكتاب من شيء [1] .

ويقولون : إن هذا القرآن الكريم لم يدع شيئاً نحتاج إليه إلا بَيَّنه وفصله تفصيلاً فقد بين الشرائعَ والأحكام ، والحلال والحرام ، والحقوق والواجبات وقد جعله سبحانه دستوراً صالحاً لجميع العصور والأمصار يرفع كل من تمسك به إلى أعلى درجات العز والكمال ، فهو كتاب كامل جامع لأصول الدين وقواعده فلا يحتاج إلى غيره مطلقاً ، ويؤيدون أقوالهم ، ويَدَّعون

---

(١) الأنعام آية ٣٨ .

آراءهم بقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا [١] . لقد صدق الله وصدق هؤلاء بجميع ما قالوا إلاَّ أنهم أخطأوا بقولهم : لسنا مقيدين بالحديث ، ولسنا بحاجة إليه ولو أنعموا النظر بآيات الله ، وفقهوا معانيها لوجدوا أن القرآن نفسه يرد عليهم ، ويقرر أننا مقيدون بأقوال النبي ﷺ ، وبأفعاله قال تعالى : وما آتاكم الرسولُ فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا [٢] . وقال : قُلْ إنْ كُنتم تُحِبون الله فاتَّبعوني يُحْبِبكم الله [٣] . وقال : مَنْ يُطع الرَّسول فقد أطاع الله [٤] .

وقال : فلا وربكِ لا يؤمنونَ حتَّى يُحكِّموكَ فيما شجر

---

(١) المائدة آية ٤ .
(٢) الحشر آية ٧ .
(٣) آل عمران آية ٣١ .
(٤) النساء آية ٧٩ .

بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مِمَّا قضيتَ ويُسَلموا تسليما [1] . والآيات في هذا المعنى كثيرة . أرأيتم كيف أن القرآن أمرنا أن نتقيد بأمر النبي ﷺ ونهيه ، وجعل اتباعنا له دليلاً على محبة الله ، كما جعل طاعتنا للرسول طاعةً لله . وأوقف إيماننا على أن نُحكِّمه عليه الصلاة والسلام في الاختلافات التي قد تقع بيننا وعلى أن لا تضيق صدورنا بحُكمه سواء كان هذا الحكم لنا أو علينا وأخيراً أن نسلم له ولحكمه تسليماً تامًّا مطلقاً . وبعد هذا أفلا تدل هذه الآيات وأمثالها على أننا ملزمون بما صح من الأحاديث عن النبي ﷺ ، ومقيدون بها ؟ وعلى أنه لا يجوز لنا أن نهملها ، أو نستخف بشأنها مادامت ثابتة عنه عليه الصلاة والسلام .

خلاصة ماتقدم أن الخمر محرمة في الكتاب والسنة ، وجزاء

---

(١) النساء آية ٦٤ .

شاربها الجلد ، وعلى هذا كان حكم النبي ﷺ ، وحكم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من بعده ، ويعبرون عن ذلك بحد الخمر أو عقوبته ، وكانوا يجلدون كل من ثبت عليه شربها ، ولا يبحثون عن المادة التي صنعت الخمر منها ، ولا يلتفتون إلى أنواعها وأسمائها ، مكتفين بقوله عليه الصلاة والسلام : كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام . وعلى هذه الأسس جرت الحكومات الاسلامية التي كانت متمسكة بكتاب الله ، وسنة رسول الله ، وبها أخذ علماؤها ، وحكم قضاتها .

بقي أمر خطر أيضاً طالما سمعته من أفواه أنصاف المتعلمين يجب التنبيه عليه قبل ختام هذا البحث وهو قولهم : إنه لامانع من شرب مقدار قليل من المسكرات لا تبلغ حد الإسكار . إنني أقول لهؤلاء ولمن خُدعوا بهم : يردُّ أقوالكم هذه ، ويهزم آراءكم قول النبي ﷺ : ما أسكر كثيره فقليله حرام .

وبعد هذا ، كل من ينشد الحقيقة لذاتها ، ويطلب العلم حباً بالعلم ، ومرضاة للرب ، وليس له غاية يسير وراءها ، ولا أهواء يدافع عنها لا بد أن يرجع عن خطئه ، ويثوب إلى رشده ، ويكتفيَ بقول الله ورسوله ، وأن يبتعدَ عن الآراء الشاذة التي لا يؤيدها الشرع ، ولا يعضدها العقل . فلما وصل في حديثه إلى هنا أقبل عليه الشاب ووجهه يطفح بشراً وقال : إنني أشكرك وأسأل الله أن يجزيك خير الجزاء ، فقد أوضحت لي طريق الحق ، وبينت لي سبيل الرشد ، وهديتني الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، وحفظهم من همزات الشياطين ، وزيغ الضالين المضلين ، وعصمهم من خرافات الجاهلين وأوهام المشعوذين المغرضين . ثم ودعه وانصرف ، على أن يعود كلما سنحت له الفُرص .

أخيراً أيها المؤمنون ! أيها العلماء والمتعلمون : أيها الناس

أجمعون ! اطلبوا العلم ، وحافظوا على شرفه ، فشرفكم مقرون بشرفه ، وعلى رفعته تتوقف رفعتكم ، فاياكم أن تخوضوا في علم لم تدرسوه ، أو فن لم تتقنوه فان ذلك يسيء إليكم ، ويحط من شأنكم ، ويجعل الناس يهزأون بكم ويحتقرونكم ، كما أنه يسيء إلى العلم الذي شرفكم الله به ، وجعلكم أمناء عليه لتعظموه وترفعوا أعلامه ، وتنشروا فضائله . وإذا أردتم أن توسعوا مداركم وأفكاركم في العلوم التي لم تحصلوها ، والفنون التي لم تتقنوها ، والأعمال التي لم تشتغلوا بها ولم تجيدوها فاسألوا المتخصصين من علمائها ، اسألوهم مستفيدين متعلمين ، مستفهمين مسترشدين ، لا مناقشين معترضين ، ولا مجادلين مستكبرين ، أسأل الله الكريم أن يجعلنا من طلاب العلم المتواضعين ، ومن العلماء العاملين . وأن يرزقنا الاخلاص في كل ما نقول ونكتب ونعمل .

القمار واليانصيب

عرّف علماء اللغة وعلماء الشريعة القمار بتعريفات شتى ، أوضحهـا قولهم : القمار ماتغلب فيـه الحظ والبخت على العمل والحذق .

الميسر هو في أصل اللغة القمار بالقِداح كما نقله لسان العرب عن عطاء ثم غلب في كل مقامرة .

القمار والميسر : اسمان لمسمى واحد كما ورد عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما ، الميسر هو القمار .

القمار الذي كان زمن الجاهلية ومنعه الشرع الاسلامي هو أنهم كانوا يقـامرون على جزور أو أكثر يقطعونها ثمـانية

وعشرين قطعة ، ويأتون بعشرة أقداح[1] : يسمى الأول الفذَّ يربح قطعة واحدة والثاني التَّوأم يربح قطعتين ، والثالث الرَّقيب يربح ثلاثاً ، والرابع الحِلس يربح أربعاً ، والخامس النافس يربح خمساً ، والسادس المُسبِل يربح ستاً ، والسابع المُعلَّى يربح سبعاً ، والثامن السفيح ، والتاسع الوغد ، والعاشر المَنيح وهذه الأقداح الثلاثة الأخيرة خاسرة ، لانصيب لها من الربح يجعلون هذه الأقداح العشرة في خريطة — وعاء من جلد أو غيره يشبه الكيس — ويسلمونها إلى رجل عدل مشهور بالأمانة بعيدٍ عن التلاعب فيخضها ثم يخرج منها قِدحاً باسم أحد المتقامرين ، ثم يخضها ثانية ويخرج منها قِدحاً باسم غيره من المتقامرين ، وهكذا حتى تنتهيَ القِداح العشرة ، فمن خرج باسمه الفذُّ فله سهم واحد ، ومن خرج باسمه التوأمُ فله سهمان

---

(١) القِدْح : السهم قبل أن ينصل ويراش ، وقِدْح الميسر ، والجمع أقدُح وأقداح وقِداح . لسان العرب .

إلى أن تنتهي الأسهم السبعة الرابحة أما القِداح الثلاثة تتمة العشرة فلندع البحث فيها لأنه لا يترتب عليه فائدة تذكر . أما بقية المشتركين بالمقامرة فيدفعون أثمان المقامَر عليه ، طيبةً بها نفوسهم مفتخرين ، وكان الرابحون لا يأخذون شيئاً مما ربحوه بل يتبرعون بجميعه إلى الفقراء والمحتاجين ، ويكتفون بمدح الناس إياهم وثنائهم عليهم . قد يسأل بعض الناس فيقول : هل القمار المحرم هو ذاك النوع الجاهلي الذي وصفناه فحسْب ، أم هو كل قمار حدث إلى يومنا هذا ؟ وإليكم الجواب : كل قمار ظهر وسيظهر حرام مهما تغيرت أنواعه وأساليبه ، واختلفت أسماؤه وأدواته ، كالنرد والشِطرَنج ، والورَق المعروف بالشدة ، وغيرها وغيرها ، وعلى هذا فاليانصيب نوع جديد من أنواع القمار ، بل هو من أخطرها لأنه لا يختلف عنها لا في مبادئه ونتائجه ، ولا في فوائده وخسائره ، فالقمار الجاهلي لعب بالأقْدُح يعتمد على الحظ والبخت ولا أثر فيه للعمل والجد ، يربح به

أُناس ويخسر آخرون ، واليانصيب لعب بالأرقام يعتمد على الحظ والبخت ولا أثر فيه للعمل والجد ، يربح به أُناس ويخسر آخرون .

تقدم آنفاً أن اليانصيب من أخطر أنواع القمار ، وذلك لأسباب منها ، أن القمار الذي كان في زمن الجاهلية يعتمد على عشرة قداح : سبعة رابحة وثلاثة خاسرة كما علمت ، ومع هذا فتحريمه واضح وصريح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة ، لا يجهله أحد من المسلمين كما أنه ممقوت ينفر منه العقلاء من مسلمين وغير مسلمين ، ومكافح من قبل الحكومات ورجال الدين ، وعلماء الاجتماع والاقتصاد من المفكرين المخلصين ، أما القمار باليانصيب الحاصل في زماننا فيعتمد على عشرات الألوف من الأرقام يربح منها قسم ضئيل جداً ويخسر سائرها كما هو معروف ومشاهد ، ومن هذا يظهر

جلياً أن الخُسر والضرر الذي يصيب الأُمة من اليانصيب أعظم جداً من الخُسر والضرر الذي يصيبها من القمار الجاهلي ومع ذلك لا تجد لليانصيب رادعاً ولا زاجراً ، بل بالعكس تجد له داعياً ومشجعاً ، ومن الأسباب التي جعلت جريمة اليانصيب أكبر من جريمة القمار الجاهلي أنه يُدعى إليه جهاراً على رؤوس الأشهاد من غير أن يخشى الداعي حاكماً يجازيه ، أو منكراً يزدريه ، ومنها أنه أفسد عقول كثير من الأمة وأغراهم بالغنى السريع الذي لا يحتاج إلى كد ونصب ، فاستسلموا للخمول ورَمَوا أنفسهم في أحضان الكسل ، فلا الغنى أدركوه ، ولا السعادة نالوها ، بل خسروا أموالهم وهممهم ، وخسروا نشاطهم وثقتهم بربهم الذي بيده حياة الخلق وأرزاقهم ، الذي أمرهم بالجد والعمل المنتج فقال : هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكُلوا من رزقه وإليه النشورُ (١) .

---

(١) الملك آية ١٥ .

فكم رأينا أناساً بدأوا أعمالهم بمال ضئيل جداً فجدّوا واجتهدوا وعملوا بصدق وأمانة حتى أصبحوا من كبار الأغنياء ، يشار إليهم بالبنان ، فمن أراد الغنى فليحذُ حذوهم ولْيَسِر سيرهم ، فليس طريق الغنى القمار بل طريقهُ العلم والعمل ، والثبات والنصيحة ، فاسلكوه ، ولاتلتفتوا إلى الخيالات والأوهام ، ولا تغتروا بأقوال المشعوذين الذين يُبيحون اليانصيب ، ويدعون أنه نوع من أنواع الخير وماهو إلا من أكبر أنواع الشر ، لقد اغتر بمثل هذه الأقوال الجهلة الطماعون — وما أكثرهم — نعم قد اغتر الكثير بالثوب القشيب المزخرف الذي أضفوه على اليانصيب ، وبالنعوت الساحرة التي نعتوه بها ، فتارة يصفونه باليانصيب الخيري الوطني وأخرى بالإنساني والاجتماعي ، ومرة يدللون عليه بقولهم: أين من يريد السعادة والغنى ؟ اشترُوا ورقة بليرة واحدة تربحوا خمسين ألف ليرة ، وهكذا وقع الكثير في براثن هذا الداء

المختفى وراء كلمة الخير والوطنية ، دفعهم اليانصيب إلى القمار الذي ماوقع فيه أحد إلا صرعه ، وأضاع ماله وشرفه ، ومروءته وعقله وأخيراً حياته . قد يقول بعض المغرورين أو المغرضين إن اليانصيب نوع حديث يدفع الناس إلى عمل الخير والإحسان ولا يمت إلى القمار بصلة ، ويدعمون أقوالهم بحجة قوية على زعمهم وهي أن أرباح اليانصيب ترصد للأعمال النافعة والخيرية فنقول لهم : وهل القمار المحرم بنص القرآن إلَّا كذلك فقد ذكرنا آنفاً أن المقامرين الجاهليين كانوا لا يتناولون من أرباحهم شيئاً بل يقدمونها كلها إلى الفقراء البائسين ، مما يثبت لنا أنهم كانوا لا يقامرون إلا لهذه الغاية .

وبعد أيها المؤمنون المتقون ، ويا أيها العقلاء المفكرون ! إن الله جلت حكمته يحب من عباده أن تسموَ غاياتهم ، وترتفع نفوسهم ، وتطهرَ قلوبهم من كل أثر من آثار الوثنية ،

وتُنقّى عقولهم من أدران الجاهلية ، وتعلوَ أرواحهم إلى أسمى درجات الرحمة والإنسانية ، فيفعلوا الخير والإحسان حباً بالخير ورغبةً في الإحسان، مخلصين لبارئهم ، متوجهين إليه ، لا يرجون الأجر والثواب إلا منه سبحانه وتعالى ، غير مبالين بمدح الناس إياهم ، ولا بثنائهم عليهم ، ختاماً أسأل الله أن يجعلنا ممن يرون الحق فيتبعونه .

•••○○•••

كلمة ألقيت في حفلة عقد قران

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعدفقد طُلب مني أن أقول كلمة في هذا الجمع الذي يضم نخبة من المواطنين الكرام وفيهم العالم والحاكم ، والإداري والتاجر ، والأديب والشاعر ، بل فيهم من جميع طبقات الأمة . فكرت في الموضوع ، وقلت في نفسي ماذا أقول ، وبأي شيء أستهل كلمتي ؟ تحيرت بادىء بَدء ثم أُلهمت إلى أن أبدأ كلمتي بآية من آيات الله فأصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد رسول الله هذا النبي العالمي الذي لم يرسله الله رحمة

للعرب فحسب بل أرسله رحمة للبشرية أجمع قال تعالى : وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين[١] .

إخواني الكرام إن الآية التي ألهمت أن أبدأ بها كلمتي هي قوله تعالى : ومن آياتِهِ أن خَلقَ لَكمْ من أنفسِكمْ أزْواجاً لِتَسْكنوا إليْها وَجعَل بَيْنَكم مَودَّة ورحمةً ، إنَّ في ذلك لَآياتٍ لِقَوْمٍ يتَفَكَّرون[٢] .

إن هذه الآية عظيمة جداً — وكل مافي القرآن عظيم — ولكن من يدرك عظمة آيات الله ؟ هل يدرك هذه العظمة القوم الغافلون الذين يقرأون من غير أن يفهموا أو يتدبروا أو يفكروا ؟ لا بل يدرك عظمة القرآن القوم الذين يتلون آيات الله ويفهمون معانيَها ويتفكرون في مقاصدها ، ويعملون

---

(١) الأنبياء آية ١٠٧ .
(٢) الروم آية ٢١ .

بما فيها من أمر ، ويجتنبون ما فيها من نهي مخلصين لله ، لا يرجون الثواب من سواه .

إخواني الكرام فكروا معي في هذه الآية الكريمة وافتحوا لها قلوبكم وعقولكم يقول سبحانه : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً : آية عظيمة تدهش العقول وتحير الألباب . ألم نر كل يوم ونسمع أن النطفة تستقر في مكانها تسعة أشهر ثم يخرجها الله بقدرته إلى الدنيا بشراً سوياً وقد وضع فيه العقل والقوة والإرادة ، وجعل سبحانه من هذه النُّطَف ذكوراً وإناثاً ، وجعل منها أزواجاً ليسكن الزوج إلى زوجه ، ويأنسَ كلٌ منهما بصاحبه ، ويعطفَ عليه ويُسرَّ به ، وجعل سبحانه بينهم مودة ورحمة ، إن المودة والرحمة التي وضعها الله في قلب كل من الزوجين لا يمكن أن نراها في غيرهما : فالرجل يبذل ماله لراحة زوجته

وقد يبذل روحه في سبيل الدفاع عنهـا وعن شرفها ، والمرأة تبذل راحتها في سبيل رعاية زوجها وتأمين رفاهيته ، وتُعينُه في مرضه ، وتخففُ عنه بأنسها ووداعتها آلامه وتتحملُ قسماً كبيراً من متاعبه فكلٌ من الزوجين شريك للآخر في السراء والضراء ، وإن وُجِد أزواج على خلاف ذلك فسببه تمردهم على القواعد الشرعية العادلة الحافظة لحقوقهما جميعاً . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

أظن إخواني أنني قد كشفت ناحيـة من نواحي عظمة هذه الآية أما الإحاطة بها فهذا من الغرور أن أدعيَه .

إخواني ! بعد أن ذكرت لـكم هذه الآية وشيئاً مما تضمنته من حكم اجتماعية أرى من الخير أن أذكر قسماً من الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالمرأة والرجـل ، تلك الأحاديث أتحفنا بها الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بل أتحف العالم

كلّه ليستنير بها ففيهـا من القواعد الاجتماعية والأخلاقية ما لو تمسك بها الناس لـكانت حياتهم أفضل حياة في هذا الوجود قال النبي ﷺ ما معناه يُرغب في التّزوج بالمرأة لأربع ، لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك . البخاري . أربع صفات في المرأة تدفع الرجل للتزوج بها فمن الناس من يفضل المال والغنى على كل صفة فإذا وجد المرأة الغنية تزوجها غير آبه لشيء من الصفـات الأخرى ، ومنهممن هو مغرم بالحسب والجاه فإذا وصل إلى المرأة الحسيبة ذات المكانة الرفيعة أقبل عليها وتزوجها ، و منهم عاشق الجمال المفتون به ، فإذا حصل على هذه المرأة الجميلة تزوجها وعد نفسه من أسعد الناس حظاً ، وهذه الصفات الثلاث قد تكون سبب شقائه وآلامه إذا كانت الزوجة خِلواً من الأخلاق الفاضلة ، والطباع الـكريمة ، ومن الناس من يرغب في المرأة ذات الدين

القويم ، والإيمان المتين فإذا ظفر بهاأقبل بكليّته عليها وتزوجها مؤمناً أنه قد نال أثمن كنز وحاز أفضل امرأة ممتثلاً قول الرسول الكريم : عاملاً بنصيحته وهي : عليك بذات الدين أي تزوجها والزمها وإن لم تفعل ذلك خسرت وافتقرت ولصقت يداك في التراب .

ولا يظنن ظان أن المرأة ذات المال أو الحسب أو الجمال لا خير فيها لا بل قد يكون الخير في كل منهن ولكن من النادر جداً أن يجتمع ذلك كلُّه في امرأة ، فعلى من أراد التزوج أن يجعل هدفه الأول المرأة المؤمنة الصالحة ذات الدين القويم والخلق العظيم ، فإذا اجتمعت هذه الصفات الأربع في امرأة فهي كنز الدنيا وسعادة الآخرة فليتزوجْها وليضعْها في سويداء قلبه وليحافظْ عليها محافظته على حياته .

إخواني الأعزاء من المستحسن أن أذكر لكم قسماً آخر

من أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام في المرأة وشيئاً من معاملته اللطيفة لزوجاته . قال : الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة رواه الإمام مسلم ، يتمتع الإنسان في ملاذ الدنيا وشهواتها بمالها وجمالها ، وسهولها ورياضها ، وطعامها وشرابها ، وينزهُ طرْفه بما فيها من ورود وأزهار ، ومناظر بديعة وأنهار ، وخيرٌ من هذا كله وأجمل المرأة الصالحة ، لأنها تسبب السعادة لزوجها وأبنائها ، ولأمتها وأوطانها ، وتساهم في الواجبات العامة ضمن نطاق قدرتها وفي حدود أُنوثتها ، حسَب ما قررته الشريعة الإسلامية العادلة التي تراعي مصالح الأمة كلها بل مصالح العالم أجمع . وقال عليه الصلاة والسلام : خير النساء من إذا نظرتَ إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غِبت عنها حفِظتك في مالك ونفسها [1] وقال : استوصوا

---

(١) فيض القدير جزء ٤ صفحة ٤٨٢ .

بالنساء خيرا . وقال : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي .

وسئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مِهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

انظروا إخواني إلى رحمة النبي عليه الصلاة والسلام وتواضعه فإنه على جلالة قدره وعلو مكانته كان يساعد أهله ويعمل كما يعملنَ فإن كنّ مثلاً يهيئن الطعام أو يُنضجنَ الخبز أو ينظفن البيت ساعدهن في كل ذلك من نفسه رحمة بهن وشفقة عليهن ، فإذا حضرت الصلاة وحان وقت أدائها قام إلى الصلاة مجيباً نداء ربه وهكذا يجب أن نعمل ، نعم يجب أن نعاون زوجاتنا وليس علينا في ذلك غضاضة ، ولا حط من كرامتنا ولا إهانة لنا بل هو فخر وأجر وثواب وكيف لا يكون ذلك ونحن لم يدفعنا إلى هذه المعونة وهذه الرحمة إلاّ

الاقتداء بمحمد رسول الرحمة والإنسانية القائل : الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يَرحمكم من في السماء : فإذا كان النبي ﷺ قد أمرنا أن نرحم أهل الأرض كلَّهم أليس من الحق علينا والأولى بنا أن نرحم زوجاتنا اللواتي هن ألصق الناس بنا وأحناهن علينا بلى والله إن الدين والمروءة ، والعقل والعدالة ، والإنسانية والرأفة كل ذلك يدفعنا إلى أن نقدم لنسائنا كل ما يحتاجون إليه وكل ما يرغبون فيه بشرط أن يكون ضمن الحدود التي حدها الله ورسوله وضمن حدود قدرتنا واستطاعتنا أما إذا طلبت المرأة من زوجها ما يغضب الله وأرهقته بمطالبها وكلفته ما لا يطيق فيجب عليه أن يدفعها بالحكمة والموعظة الحسنة فإن تمردت فعليه أن يظهر رجولته ويشعرَها بأنه رجل وأنه حر فلا يمكن أن يكون عبداً لها ولا لأحد غير الله . كما أنه يجب على الزوجة

أن تقف مثل هذا الموقف أمام زوجها ليعلم كل منهما أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وبهذه الجرأة الدينية الأدبية الأخلاقية يعرف كل من الزوجين ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات فيقف عنده ، وهناك الحياة الزوجية السعيدة الخالية من التعدي والمزعجات .

إخواني الكرام إنني أجد لزاماً عليَّ قبل ختام كلمتي أن ألفت نظركم إلى أمر مهم جداً ظهر للجميع ضرره ، ووضح للملإ خطره ، وهو اختلاط الجنسين إن هذا الموضوع يؤلمني ويؤلم كل مؤمن ولو أردت أن أُوَفيَه حقه من البحث لأطلت عليكم وأطلت لهذا أكتفي بهذه الكلمة الوجيزة .

علم كل فرد منكم أو سمع بما يجري في الحفلات التي تقام في النوادي وبعض البيوت بمناسبة الأعراس وغيرها من الأمور التي لا يقبلها شرع ، ولا يقرها عقل ولا توافق عليها مروءة

من اختلاط الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات ، وما يحدث من جراء هذه الاجتماعات من المفاسد التي لاينكرها إلامكابر . لذلك يجب علينا أن نعلم أن الشرع لم يحرم علينا شيئاً إلاَّ لضرر عظيم كامن فيه فان لم يظهر لنا اليوم فسيظهر غداً ، ولكن بعد فوات الوقت وبعد خروج الأمر من أيدينا حيث نندم ولات ساعة مندم .

فعلينا أن لا نسمح لنسائنا بالذهاب إلى تلك النوادي وهذه المجتمعات ، ولا نسمح لأجنبي أن يدخل على نسائنا ولو كان من كبار العلماء ، لا نسمح لأجنبي أن يدخل بيتنا إذا لم نكن نحن فيه ولو كان من كبار الصالحين والأتقياء ، ولا نسمح لنسائنا أن يسافرن إلى البلاد الأجنبية ولا العربية حتى ولا إلى المصايف السورية من غير أن يكون معهن محرم يخدمهن ويحرسهن ويدفع عنهن شر المفسدين المعتدين . اسمعوا

إخواني هذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري ، قال النبي ﷺ لا تسافر المرأة إلا مع ذي مَحرم ولا يدخل عليها رجل إلاَّ ومعها مَحرم فقال رجل : يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وامرأتي تريد الحج ، فقال : اخرج معها إن الجهاد في سبيل الله فرض ، وإن الحج فرض وقد أمر الرسول ﷺ الرجل الذي يريد أن يؤديَ فريضة الجهاد أن يتركه موقتاً ولا يدعَ زوجته تسافر لأداء فريضة الحج من غير أن يكون معها مَحرم . فكروا معي أيها المؤمنون في هذا الحديث تعلموا مقدار بعد نظر الرسول وعمقِ تفكيره جزاه الله عنا خير الجزاء .

وأَلفِتُ نظركم أيضاً إلى أمور سيئة نفعلها وإلى أموال كثيرة نبذرها ونبددها من غير أن تعود علينا ولا على أمتنا وبلادنا بأدنى نفع ، منها الأموال الضخمة التي نبذلها على

ملابس العرس ، فقد سمعت أن بعض الأسر الغنية دفعت ثمن قطعة واحدة من ملابس العروس خمسة آلاف ليرة ومنهم من قال لي عشرة آلاف ولكني استحييت أن أقول عشرة خوفاً من أن يكون المخبر مبالغاً فيه ، فإذا كان المدعوون للعرس مائتي امرأة فكم يكون مجموع الأموال التي ضاعت لأجل هذه الليلة ، هذه الليلة فقط ولا تنسوا ثمن الهدايا التي تقدم وثمن باقات الزهور التي تقدر بآلاف الليرات حسَب مكانة أهل العروسين وغناهما وكل ذلك يذهب هباء لأن هذه الزهور تذبل بعد يومين وتطرح في الطرقات ، وتلك الملابس لاتصلح بعد شهر أو شهرين لحفلة ثانية إنا لله وإنا إليه راجعون .

إخواني واجب علينا بل فرض أن نحتفظ بأموالنا لأننا في حاجة شديدة إليها نحن في حاجة إليها لإنشاء المدارس والمستشفيات وتدعيم المعامل والصناعات ، نحن بحاجة إليها

للدفاع عن مقدساتنا وحياتنا ، نعم نحن بحاجة إليها لنيل عزتنا وكرامتنا . لذلك ينبغي أن لا نصرف قرشاً واحداً من أموالنا من غير أن يكون لنا في ذلك نفع وفائدة . وختاماً أسأل الله العظيم أن يلقي المحبة والتوفيق بين العروسين وعائلتيهما ويوفقهما لإنشاء أسرة مؤمنة صالحة ذات أخلاق فاضلة ، تدافع عن إيمانها وبلادها وأمتها ، وأن يجمع قلوب العرب والمسلمين في أقطار الأرض وأن ينصرهم على عدوهم إنه على كل شيء قدير .

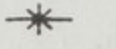

أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

حديث صحيح لا شك في صحته

قرأت في العدد الـ ١٩٨ من النواعير مقالاً عنوانه انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً بقلم أحد الأساتذة البحاثين .

قرأته فأدهشتني منه القطعة الآتية التي أنقلها بالحرف :

قال الأستاذ البحـاثة : وتمضي الأيام وأُعنىٰ في دراسة الآثار النبوية على أحد كبـار العلماء فقرأت عليه صحيحي البخاري ومسلم والجامع الصغير وعليه شرح المنـاوي وإذا بي أجد هـذه الكلمة المسندة إلى النبي ﷺ في حديث ضعيف واهٍ من كتاب الجامع الصغير ولم أجدها في سندصحيح البتة . وأعرف حق المعرفة أن هذه الكلمة ليست عليها سيما

الحديث الصحيح ، ومن أُشرب الأحاديث الصحيحة يدرك لأول وهلة أن هذه الكلمة لم يقلها النبي فهي تخالف نصوص الكتاب العزيز مخالفة كلية لا يصح إقرارها ، وتضارب الآيةَ الكريمة — ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النَّار — وغيرها من آيات الكتاب .

من هذه القطعة التي دبجتها يراعة الأستاذ البحاثة نستخلص أموراً ثلاثة :

١ — أن الأستاذ عُنِيَ في دراسة الآثار النبوية ومعرفة صحيحها وفاسدها .

٢ — أن الأستاذ ممن أُشرب الأحاديث الصحيحة حتى أدرك لأول وَهْلة أن حديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً لم يقله النبي ﷺ ، لأنه على ما أدت إليه دراسته للآثار النبوية مخالف لنصوص القرآن الكريم مخالفة كلية .

٣ — أن الأستاذ قد قرأ على أحد كبار العلماء ، صحيحَ البخاريِّ ومسلم وقرأ الجامع الصغير وشرحه للمناوي ولم يجد هذا الحديث في سند صحيح البتة بل وجده في حديث ضعيف واهٍ في كتاب الجامع الصغير .

وعلى هذا أقول : إن الحديث صحيح لا شك في صحته ، وقد رواه الإمام البخاري ونصه : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قالوا : يارسول الله ! هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يديه ، تجده في الصفحة الـ ٩٨ من الجزء الثالث ، طبع المطبعة العامرة في الأستانة . ورواه الإمام مسلم بلفظ آخر عن جابر قال : اقتتل غلامان : غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون : ياللمهاجرين ، ونادي الأنصاري : يا لَلأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال : ما هذا ؟ دعوى أهل الجاهلية ، قالوا : لا يارسول الله إلَّا

أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر قال — أي النبي — فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً : إن كان ظالماً فلينهه . فإنه له نصر ، وإن كان مظلوماً فلينصره . تجد هذا الحديث في الصفحة التاسعة عشرة من الجزء الثامن . طبع المطبعة العامرة أيضاً . وفي الجامع الصغير : انصر أخاك ظالماً أو مظلوما قيل : كيف ننصره ظالماً ؟ قال : تحجزه عن الظلم ، فإن ذلك نصره ، وأشار إلى أنه رواه البخاري في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، والترمذي ، ووضع إشارة الصحة . وقد راجعت هذا الحديث في شرح البخاري وشرح مسلم ، وشرح الجامع الصغير للمناوي فلم أجد أحداً تعرض لهذا الحديث بأي تضعيف .

مما تقدم يتضح للقارئ الكريم أن الحديث صحيح جداً وقوي جداً وعظيم جداً ، وقد ثبت ذلك في نفس الكتب التي درسها وقرأها الأستاذ البحاثة ، فلا أدري كيف تطرق إليه

الوهم فضعفه وحكم بأنه مخالف لنصوص القرآن مستشهداً بقوله تعالى — ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار — فكرِّ معي أيها القارئ الكريم : إن الله سبحانه ينهانا عن الركون إلى الظلمة ، والحديث الشريف يأمرنا بأن ننهى الظالم ونحجزَه عن الظلم ، وأن نأخذ على يديه فلا ندعه يتمادى في ظلمه ، وسمى النبي ﷺ هذا الردع نصراً للظالم إذ به ينجو من عذاب الله . أنعم النظر معي أيها القارئ الكريم ثم أنعم ، فهل تجد شيئاً من التصادم والمخالفة كليةً كانت أو جزئيةً ؟ بين الحديث والآية ، أم كلٌّ منهما مؤيد للآخر ؟ ولو أن الحديث يؤيد ويقر ما كان يفعله العرب في جاهليتهم من مناصرة الظالم على ظلمه ومعاونته ، لكان كل ما قاله الأستاذ البحاثة وقرره صحيحاً لا غبار عليه .

اللهم علمنا وارزقنا الأناة حتى نفهم معاني آياتك ،

وأحاديث نبيك ، وجنبنا التسرع ، فبالتسرع تَزل الأقدام ، وتضل الأفهام . وبعد هذا التوضيح النزيه الذي لا يُقصد منه إلّا خدمة حديث النبي ﷺ نرجو من الأستاذ الفاضل أن يبادر لتصليح خطئه في أول عدد يصدر من النواعير مقتدياً بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما راجعته المرأة العجوز في شأن المهور وهو على المنبر فأجابها معلناً على رؤوس الأشهاد بقوله : أخطأ عمر وأصابت امرأة . فكان هذا الاعتراف بالحق مفخرة لعمر رضى الله عنه تذكرها الأجيال بالإعجاب والإعظام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لأخويَّ أبنائي يطلبون العلم في ديار الغرب ، جاء أحدهم في العطلة الصيفية وقبل سفره ، طلب مني أن أكتب كلمة يحملها في عودته إلى سائرهم فكتبت هذه الكلمة .

أبنائي الأعزاء

السلام عليكم ، وبعد فأرجو أن تُقبلوا عليَّ بعقولكم وأرواحكم فإني أُريد أن أُخاطب العقول والأرواح ، لا الهياكل والأشباح ، إنكم يا أبنائي في دار غُربة ، بعيدين عن الأهل والوطن ، تطلبون علماً وتقصِدون غاية ، وإنكم لا شك حريصون على إدراكها ، والوصول إليها ، وأنا يعلم الله أشد حرصاً منكم على بلوغ غايتكم ، لهذا أجد لزاماً عليَّ أن أرسم لكم الخطة المثلى التي أعتقد أنها تُوصلكم إلى ما أحب وتُحبون .

أولاً اتقوا الله وحافظوا على أوامره ، واجتنبوا نواهيه ، ولا تستصغروا ذنباً مهما كان بنظركم صغيراً .

ثانياً اجتهدوا في دروسكم ، ولا تُضيِّعوا دقيقة واحدة فيما لا نفع فيه ، معتمدين على الله ، مستمدين العون منه ، وإياكم أن تعتمدوا على ما يسمونه الحظ ، وأن تُعلِّلوا نفوسكم بالخيال ، بل كونوا موقنين بقوله تعالى — وأن ليس للإنسان إلَّا ما سعى — .

ثالثاً انتبهوا لأساتذتكم عند إلقاء الدروس ، وتفهموا معانيَها وتذاكروها وأعيدوها مرات ومرات ثم مرات ومرات ، واجعلوها أحاديثكم وسمركم ، وابتعدوا عن خلطاء السوء من وطنيين وأجانب . فإنْ فعلتم ونفَّذتم هذه الخطة الحسنة نفعتم أنفسكم وصنتم أخلاقكم وقتلتم حسادكم ، وأحييتم آمال أهليكم

وأحبابكم وعدتم إلى وطنكم مرفوعةً رؤوسكم ، موفورةً كرامتكم ، فإلى الأمام أبنائي إلى الأمام ، إلى الصلاح والتقوى ، إلى الجد والاجتهاد والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

الإيمان

ليس الإيمان كلمات تلوكها ألسنتنا ، وألفاظاً تقذفها أفواهنا ، بل الإيمان ما وقر في قلوبنا وامتزج في أرواحنا ودمائنا ، وظهر أثره في أخلاقنا وأعمالنا .

فالوطني الذي يدعي أنه مؤمن بوجوب خدمة وطنه ، ورقي بلاده وأمته ، ويتبجح في خطبه وبياناته أنه مستعد لأن يبذل ماله وحياته في سبيل الدفاع عن الوطن ، وكرامة الأمة ولا نرى في أعماله ما يؤيد دعواه ، فهو كاذب خداع ، ومثله الذي يدعي الإيمان بالله ، ولا ينفذ أمره ، ولا يجتنب نهيه .

حسن الظن

يقول الكثير من المرشدين والوعاظ : يجب أن يحسن الإنسان ظنه بالناس ، ويحمل كل مايراه منهم من سوء محملاً حسناً ، وينتحل لهم الأعذار ، ولا يدع طريقاً لسوء الظن فيهم .

نفهم هذا جيداً ونطبقه في الأشخاص الذين لم تسبق لنا معرفة بهم ، ولم نطلع على كذبهم وغشهم وخداعهم ، أما أولئك الذين أحسنا فيهم الظن فأساءوا ، ثم أحسنا فأساءوا ، ثم أظهروا التوبة فنقضوها وكذبوا ، ووعدونا الخير فأخلفوا ثم أساءوا وأساءوا .

فهل بعد هذا نلام إذا اعتقدنا بهم شرًّا ونبذناهم نبذ النواة ؟

الرحمة والقسوة

من أكبر أسباب انهيار الشعب واضمحلال هيبة الحكومة عدم مجازاة المسيئين المجرمين ، وإهمال مكافاة المحسنين المخلصين ، ومن أهم تلك الأسباب أيضاً وضع الرحمة والقسوة في غير موضعهما ، فإذا رحمت الحكومة مثلاً المجرم الخائن ، فقد قست على المحسن الأمين ، بل قست على الأمة كلها ، وإذا قست عليه وعاقبته العقاب الذي يستحقه فقد رحمت الأمة وأحسنت إليها .

فخذوا بأيدي الأمناء الصادقين وقربوهم ، واضربوا على أيدي الخونة الكاذبين وأبعدوهم فإنهم حرب على الأمة والحكومة ، وأعداء للوطن ومصالحه .

السلطان

لا سلطان لأمة تفرقت كلمتها ، واختلفت أفكارها ، وفسدت أخلاقها ، وتعددت أهدافها ، وزالت ثقة عامتها بخاصتها ، وخاصتها بعامتها ، حتى أصبح كل فرد منها لا يعتمد على أحد مهما ادعى من إخلاص وغيرة ، ومهما أظهر من وطنية وحمية ، والأمة إذا خسرت ثقتها برجالها خسرت كل مقومات حياتها ، لأن التقدم والنجاح ، والخير والفلاح ، لا يمكن الوصول إليها إلا بتبادل الثقة ، ولا تسود الثقة بالدعوى الفارغة ، التي لا تؤيدها حجة واضحة ، وعمل مخلص . وعلامة الإخلاص هي التعاون في سبيل المصلحة العامة وجمع الكلمة واتحاد الشعب حتى تكون الأمة كلها يداً واحدة على أعدائها ، ومن شذَّ عن الجماعة شَذَّ إلى النار .

الخيانة العظمى

من أعظم الخيانات أن تخون أيها الإنسان ربك الذي خلقك فسواك فعدلك ، فتنكر وجوده وتجعل له شركاء وأنداداً، أو تؤمن به وتترك كل ما أمرك به ، وترتكب كل ما نهاك عنه مستخفًّا بعظمته جاحداً لفضله .

ومن الخيانة العظمى أيضاً أن تخون وطنك الذي أنت جزء منه ، غذاك نباته وأرواك ماؤه ، وأنعشتك رياضه ونسماته وأقلتك أرضه وأظلتك سماؤه .

فكيف بعد ذلك تخونه وتسلمه لأعدائه ؟ يعيثون فيه فساداً ، ويستعبدون أهله الذين هم أهلك وإخوانك وهل لمرتكب هذه الخيانة النكراء جزاء إلا الموت واللعنة ؟

غض البصر

إياك أن تطلق لنظرك العِنان فيتنقل في رياض الجمال ، ويرتع في حدائق الحسان ، ويسرح في مسارح المها والغزلان فقد تورد النظرة الواحدة صاحبها المهالك ، وتذيقه أنواع الآلام والمصائب .

النظرة سهم قاتل فلا تطلقه ، فأنت مالكه قبل الإطلاق مملوكه بعد الإطلاق ، وكم سهم أصاب راميه ؟

فاملك زمام نفسك ، تأمن سوء العواقب ، وتنجُ من المهالك .

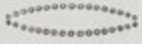

الصيام الكامل

ليس الصيام الكامل أن تمسك عن الأكل والشراب فحسب ، بل هو أن تمسك أيضاً لسانك عن الكذب والغيبة ، وعن الهُجر والنميمة ، وأن تمسك يدك عن إيذاء غيرك ، وتمنع رجلك عن السعي إلى أماكن اللهو والشر ، وقلبك عن الحسد والحقد ، بل أن تمنع جميع أعضائك عن كل ما نهاك الله عنه ، فإن فعلت ذلك فأنت من الصائمين ، المستحقين للأجر الجزيل ، والفضل العميم .

الثبات والجمود

يدّعي كثير من الناس الثبات ويقولون : إنهم ثابتون على مبادئهم ، محافظون على أفكارهم واقفون عند أقوالهم ، لا يغيرون شيئاً مما هم عليه من باطل منذ حداثتهم ولا ينحرفون . يفعلون ذلك وإن كانوا على خطأ عظيم ، فهؤلاء لا يسمعون حجة مهما كانت قوية ، ولا يقبلون دليلاً مهما كان واضحاً ، ولا يلتفتون إلى نصيحة مهما كانت مخلصة ، يفخرون بذلك على غيرهم ويضللونهم وقد يكون غيرهم أهدى منهم سبيلا .

ألا فليعلم هؤلاء أنهم جامدون لا ثابتون وأنهم على ضلال وإن ظنوا أنهم مهتدون ، فيجب على الإنسان أن يدور مع الحق حيث دار ، وأن يسير معه أنّى سار .

عادات سيئة

من العادات السيئة بل من أسوإ العادات أن تعِدَ أخاً لك أو صديقاً أو أي إنسان أن تزوره في الساعة الثانية مثلا ، فتمضي الساعة الثانية والثالثة وقد تلحقهـا الرابعة ولا تفي بوعدك ، والموعود يتقلب بين الساعة الثانية والرابعة على أحر من الجمر ، فما الذي أخرك يا أخي عن الوفاء بوعدك ؟ هل حدث لك حادث منعك ، أو أمر عظيم أخرك ، وهل وقف في سبيلك قاهر حبسك ، إن كان شيء من ذلك منعك فأنت معذور . ولـكني أحسب أن شيئاً من ذلك لم يكن ، بل هو الإهمال ، الإهمال فحسْب .

القيود المختارة

إنّ أعجب فعجبي من أناس أحرار يختارون القيود ويضعونها بأيديهم في أعناقهم ، ويحجزون حرياتهم وحريات غيرهم ، تلك الحريات التي منحتهم إياها الشرائع الإلهية ، والقوانين العادلة ، والتي تؤيدها العقول الراجحة والأفكار الناضجة ، والضرورات الطبيعية .

من هؤلاء بعض أرباب المهن والتجارات ، والأطباء والصناعات ، يُحرِّمون العمل في أوقات تدعو الحاجة الماسة للعمل فيها ، بحجة أن النقابة حرمت العمل في هذه الأيام ، ضار بين في المصالح العامة ، والأمور الاستثنائية عُرض الحائط ، وقد يكون الكثير منهم محتاجاً إلى القوت الضروري . فإلى الاعتدال أيها الناس إلى الاعتدال .

التمسك والتعصب

الكثرة من الناس لا يفرقون بين معنى التمسك ومعنى التعصب ، أو لا يحبون أن يفرقوا بينهما لغايات في نفوسهم ، وأغراض يخفونها في ضمائرهم ، فيستعملون كلاً من الكلمتين في غير موضعها ، مع أن الفرق بينهما عظيم ، والبون واضح جسيم. فالتمسك فضيلة محببة وهي أن تتمسك بعقيدتك وتحافظ على حقك ، وتدافع عن وطنك ، من غير أن تعتدي على حقوق غيرك ، سواء كانت هذه الحقوق مادية أو معنوية .

والتعصب رذيلة ممقوتة ، وخصلة مذمومة ، وهو أن تتعصب لباطلك ، وتقف عثرة في سبيل حق غيرك وحرية إخوانك ، وتُحرِّم على غيرك ما تبيحه لنفسك ، فالإنسان الكامل هو الذي يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه ، ويعاملهم كما يحب أن يعاملوه .

ناصر الضعفاء

إذا كان الحق لا يصل إليه إلَّا القوي ذو الجاه والمال ، وصاحب النفوذ والسلطان ، فويل للضعيف من القوي ، وللفقير من الغني ، وللخامل من النابه .

إن الأمة التي تضيع فيها حقوق الضعفاء ، ولا تجد فيها من يناصرهم ويرد إليهم حقهم ، ويكشف ظُلامتهم ، ويضرب على أيدي من ظلمهم ، فهي أمة ظالمة ، لا يبارك الله فيها ألا فليعلم الظالمون أنَّ للمظلومين إلهاً ينصرهم ، وليعلم الأقوياء أنَّ للضعفاء ربًّا قويًّا يدافع عنهم ، قال سبحانه : إنَّ اللهَ يُدافع عن الذين آمنوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ خوَّانٍ كفورٍ (١) . وليعلم الناس أجمعون أن الله ناصر المظلومين ، وخاذل الظالمين ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون .

---

(١) سورة الحج. آية ٣٨ .

ثبات ... لا جمود

إن الكثير من المغترين بعلومهم وتفكيرهم ، المعجبين بأنفسهم وعقولهم ، يَصِمون أصحاب العقائد الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة ، بالتحجر والجمود ، لماذا ؟ لأنهم لا يجارونهم في فسادهم وضلالهم . فلا يشربون المسكرات ، ولا ينغمسون في الشهوات ، ولا يرتادون أماكن اللهو والملذات ، تلك الملذات المحرمة ، والشهوات الرخيصة التي تُميت الفضائل ، وتقضي على المروءات .

ليس هذا يا إخواني تحجراً ولا جموداً ، بل هو ثبات على الحق ، وحفاظ على الأخلاق التي لا حياة لأمة تحب أن تحيا كريمة إلَّا بها . قال أحمد شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الخيانة

من الخيانة الكبرى أن يحشو بعض الأساتذة عقول تلامذتهم بالخرافات والأوهام التي لا يؤيدها النقل الصحيح ولا يرتضيها العقل الرجيح . لم يكتفوا بارتكاب هذه الجريمة فحسب بل دفعوا بفلذات أكبادنا إلى اعتناق المذاهب الهدامة ، التي تهدم الأخلاق والإيمان ، وتقضي على الاتحاد والأوطان وتبذر فيما بينهم بذور التفرقة والعدوان ، ثم أفسدوا أفكارهم بالدعوة إلى الحزبيات ، وسموا عقولهم بسم السياسات حتى أصبح الأخ عدو أخيه ، والابن خصيم أمه وأبيه ، وحتى صار البيت الذي كان جنة تتفيأ الأسرة ظلالها جحيماً تصلى نارها .

فاتركوا إخواني هذه التُّرّهات ، وحاربوا تلك الضلالات ، واجمعوا القلوب على المحبة والمودات .

المستحيث لا يموت

من ظن أن الشجاعة والإقدام يقربان الآجال ، وأن الجبن والفرار يبعدانها فقد أبعد في الضلال ، وتمادى في الأوهام ، فكم من مقبل على العدو سلم ، وكم من مدبر عنه قُتل ، ها كم البطل العربي خالد بن الوليد ، القائد العظيم الذي خاض المعارك الهائلة ، والحروب الضارية ، خاضها طالباً الموت في سبيل الله ، مبتغياً الشهادة إعلاء لكلمة الله ، ها هو قد خرج من جميع هذه المعارك سالماً ظافراً ، لم تُدنِ شجاعته أجله ، ولم يقرب الإقدام موته، اصغوا إليه وهو على فراش الموت يقول : لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسمي موضع شبر إلّا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، أو رمية سهم ، وها أنا أموت الآن على فراشي رغم أنفي ، فلا نامت أعين الجبناء .

إلى الحياة

الأمة المؤمنة بربهـا ، المتحدة أفرادها ، المدافعة عن حقوقها ، المستميتة في سبيل عزتها وكرامتها ، الواثقة بحكومتها وزعمائها ، الباذلة أموالها وأرواحها دفاعاً عن استقلالها وأوطانها وعن أبنائها وأعراضها ، وعن شرفها وسلطانها ، هي الأمة الجديرة بالحياة : حياة العظمة والمجد ، حياة السعادة والخلود .

فإلى مثل هذه الحياة الطيبة أدعوكم أيها العرب المخلصون إلى مثل هذه الحياة العزيزة أدعوكم أيهـا الأحرار المؤمنون ، فاعملوا لها باتحادكم وجمع كلمتكم ،وتوحيد صفوفكم قال تعالى :

وَقُلِ اعْملوا فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنونَ ، وستُردُّون إلى عالمِ الغيبِ والشهادةِ فينبئُكم بما كنتم تعملونَ[1] .

---

(١) التوبة . آية ١٠٦ .

الإخلاص والنهوض

أجل نظرك في التاريخ قديمه وحديثه ، وادرس أحوال الأمم وتعمق في الدراسة ، وأعمل الفكر في أسباب نهوضها ، تجد العامل الأول فيه هو الإخلاص : إخلاص العلماء والمفكرين ، والساسة والمتزعمين ، والتجار والعاملين والحكام والمحكومين ، فاخلاص أفراد الأمة ، يدفع الجميع إلى السير قُدُماً إلى الغاية المثلى ، والهدف الأسمى ، يدفعهم متحدين متناصرين ، بقلوب مفعمة محبة ووداداً ، مملوءة إيماناً وإخلاصاً واتحاداً .

الاعتدال

الاعتدال هو الأمر الوسط بين أمرين متناقضين مذمومين : كالبخل والتبذير والجبن والتهور ، والاستكانة والتكبر ، فكلٌ من هذه المذكورات وأمثالها ذميم ، والأمر المحمود هو الأمر المتوسط بين كل منهما :

فبين البخل والتبذير ، الكرم والسماحة ، و بين الجبن والتهور الإقدام و الشجاعة ، وبين التكبر والاستكانة ، التواضع والمهابة ، وهكذا نجد في الاعتدال جميع الفضائل و كل الخيرات . فلنلتزمه ولنزن أعمالنا بميزانه نأمن العثرات ، ونجتنب الزلات .

الجهاد

للجهاد عناصر وأدوات ، يجب تهيئتها وللنصر أسباب لا ينال إلا بها ، ومن أعظمها الإيمان والإخلاص ، والنظام والاتحاد ، وإعداد العدة حسب مقتضيات الزمان والمكان ، وتعلم الفنون الحربية وأساليبها ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، والشجاعة والثبات على آلامها ولأوائها ، والصبر على شدائدها وأهوالها ، فعلى الأمة الناهضة التي تريد الحياة الكريمة أن تهيء هذه العناصر ، وتبذل الأموال والأرواح رخيصة في هذا السبيل ، وإلا فهيهات هيهات أن تصل إلى ما تحب أو تبلغ ما تريد .

الخرافات

يظن الكثير من الناس أن الخرافة لا تعشش إلّا في أدمغة العامة والبسطاء ، الذين لم تنور عقولهم العلوم ، ولم تصقل أدمغتهم المعارف ، ولكن الواقع يخالف ذلك ، فإننا نجد كثيراً من العلماء المفكرين ، والأساتذة المحققين ، الحاملين شهادات عالية ، مَن تقبل عقولهم من ضلالات المشعوذين ، وأوهام المخرفين ما تتنزه عن قبوله عقول الأطفال والأميين ، وما دام الأمر كذلك فلا يجوز لنا أن نأخذ عن غيرنا — مهما كان مشهوراً — كل ما يدعو إليه ويقرره ، من مبادئ وعقائد ، بل يجب علينا أن نعرضها على مبادئ الإسلام ، فما وافقها عملنا به وقبلناه ، وما خالفها رددناه ونبذناه .

إلى العرب

أيها العرب في الشام والعراق ، ومصر والحجاز ونجد واليمن ، وفي الجزائر ومراكش ، وتونس وليبيا ، أيها المؤمنون فوق كل أرض وتحت كل سماء ، أيها المضطهدون في الشرق والغرب ، وفي كل بقعة من بقاع الأرض ! إياكم أن تصدقوا أن في الدنيا دولة مستعمرة — مهما تظاهرت بالعدل والرحمة — تناصركم ، أو محكمة تدافع عنكم ، أو أمة من أمم الأرض تحنو عليكم أو تساعدكم من غير أن يكون لها أغراض وغايات ، فعليكم أنتم نعم عليكم أنتم أن تلموا شعثكم ، وتجمعوا أمركم ، وتحشدوا كل قواكم وتعتصموا بالله ربكم متسربلين بالإيمان والحق ، باذلين أموالكم وأرواحكم لدفع الظلم عنكم ، ولتعيشوا والإنسانية كلها بأمن وسلام .

المنافق

اختلف الناس في تعريف المنافق ، والأكثرون قالوا : المنافق هو الذي يظهر للناس الخير والصلاح ، لينال ثقتهم ، ويخفي في نفسه الشر والفساد ، وعلى هذا فالعامل الذي يدعي النصيحة والأمانة ، ويضمر الغش والخيانة منافق .

والتاجر الذي يتظاهر بالشرف وطهارة الوجدان ، وهو خلو منهما منافق أيضا .

والأستاذ الذي يلبس لباس الأتقياء ، ويحشو عقول تلاميذه بالخرافات والأوهام ، ويروج العقائد الأجنبية عن الإسلام ، هو أيضاً منافق .

والزعيم الذي يدعي خدمة الوطن وأهله ، ويبطن خدمة نفسه الخبيثة ، ومطامعه الخسيسة منافق أيضاً ، وكذلك النائب والوزير ، والكبير والحقير .

هادي الضالين

في يوم شديد حره ، سرتُ في بيداء قفر ، لا ظل يقيني حرارة الشمس المحرقة ، ولا نسيم يخفف عني رمضاء الصحراء الملتهبة ، سرتُ أنشد راحلتي الشاردة ، وعليها طعامي وشرابي ، وفراشي وغطائي ، ولباسي وسلاحي ، بل عليها حياتي .

سرت أفتش عن راحلتي وأتتبع أثرها وأبالـغ في السير والتفتيش إلى أن انقطع الأثر ، ثم سرت شرقاً وغرباً ، جَنوباً وشَمالاً ، إلى أن أعياني السير ، وأضناني التعب من غير أن أنال بغيتي ، وأجد ضالتي .

وقفت وسط الصحراء حائراً بعد أن كاد الجوع والعطش يقتلانني ، والحر واللغوب يتلفانني ، واليأس يقضي على جميع

أمالي ، وقفت حائراً أناجي نفسي قائلاً : ماذا أفعل ؟ إنني في هذه البيداء كالسمكة الصغيرة في البحر الخضم ، المتلاطمة أمواجه ، المصطخبة أمواهه ، ماذا أستطيع أن أعمل ؟ وقد سُدَّت في وجهي جميع أسباب النجاة ، أأستسلم للأمر الواقع وفيه الموت المحتم ؟ لا . يجب أن أجتهد وأن أعمل وأن أبذل كل ما أستطيع في سبيل حفظ حياتي .

نهضت أريد مواصلة السير عساني أجد راحلتي فأنقذ نفسي من الموت الذي أصبح أقرب إليَّ من ظِلي .

نهضت ولكن لم يكن ليدور في خَلَدي أن قواي ستخونني ، فوقعت على الأرض مغشيًّا عليَّ ، وبينما أنا مستغرق في غيبوبتي التي تشبه الموت إذ شعرت بيد لطيفة تمس رأسي وتمرُّ مَرَّ النسيم على وجهي ، وسمعت صوتاً عذباً : حروفه الرحمة وكلماته الحنان يناديني : قم أيها الضال ! واتَّبعني

أهدك صراطاً سوياً ، قم أيها الميت ! واتبعني أُحيِك بالله بعد الموت ، وأدلك على حياة النعيم والخلود ، قم واقتفِ أثري يبدل الله شقاءك سعادة ، وتعبك راحة ، وخوفك أمناوسلاما.

وما إن سمعتُ هـذا الصوت اللطيف حتى قمت والقوة تملأ قلبي ، والحياة تعود إليَّ ، قمت أتَّبع الصوت ، وأترسم خطوات صاحبه ، فإذا بي أمام باب ما رأيت أجمل منه و إذا به يُفتح له و يدخل فأدخل و راءه ، فأجد جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فيها السرور الدائم والنعيم الخالد .

فقلت بأبي أنت وأمي ، من أنت ؟ فسمعت صوتاً يقول: أنا هادي الضالين ، أنا نبي المسلمين ، أنا المرسل رحمة للعالمين .

السلام المنشود

لا يكاد الإنسان يقرأ صحيفة ، أو يسمع إذاعة إلا وفيها نشيد السلام ، يتغنى به رؤساء الحكومات ووزراؤهم ، ورجال السياسة فيهم ، كلٌّ يدعي حب السلام ، والعمل على توطيد أركانه ، وتشييد بنيانه ، وخدمة الإنسانية والعمل على ازدهارها وتقدمها ، فهل هم في دعواهم صادقون وفي عملهم جادون ؟ إذا كانوا كذلك فلمَ يُشعلون نيران الحروب ، ويسلبون الأمم الضعيفة حقوقها من السيادة والحرية ، ولمَ يذيقونها أنواع العذاب ، ويُمطرون عليها قذائف الموت وقنابل الدمار ؟ إذا رفعت أصواتها مطالبة بهذه الحقوق ، أو حركت يدها للدفاع عنها ، أبهذه الوحشية يُصان السلام ، وبمثل هذه البربرية تُخدم الإنسانية ويُحترم الإنسان ؟ ما هذا المنطق المقلوب وما هذه الفلسفة العجيبة ، ما ذنب هولاء الكتل البشرية ، المتطلعة

إلى الحياة الحرة المستقلة ؟ ما جريمة هاته الملايين التي تجمعكم وإياهم أخوّة الإنسانية شئتم أم أبيتم ، دعوهم يستنشقون نسيم الحرية ويتذوقون طعم الحياة ، اعترفوا لهم بحقوقهم وأنيلوهم إياها حتى يصدقوا أنكم إنسانيون ، ويصدقوا أنكم أنصار الضعفاء ، ويؤمنوا أنكم تحبون السلم والسلام ، والأمن والأمان .

أيها الصائم

إعلم أيها الصائم أن الصوم يهذب الأخلاق ويُنمّي الفضائل ، ويقوي ملكة الصبر ، ويعين على الخير ، ويدعو إلى الإحسان ، فإياك أن تجعله سبب الإساءة ومفتاح الشر ، وعليك بمكارم الأخلاق في جميع أيام السنة ، وخصوصاً في هذا الشهر المبارك الذي تكثر فيه الأجور ، وتنمو الخيرات ، وتتضاعف الحسنات ، وتنزل على الصائمين الرحمات ، وتغفر للتائبين الصادقين الذنوب والسيئات .

الاختلاف

ما العدو بمدافعه وطائراته ، وقنابله ودباباته ، وعَدَده ومعداته ـ مهما كثرت وتنوعت ـ بأعظم فتكاً في الأمة من الاختلاف يدب في صفوفها ، ويتغلغل في صميمها ، فهو يهدم أمجاد الأمم القوية العريقة في المجد ، ويهوي بها في دركات الذل ، ويجعلها أثراً بعد عين ، فكيف بالأمم الضعيفة التي شعرت بضعفها وبدأت تتلمس طريق القوة ؟

فيا أيها المؤمنون الصادقون ! أيها العرب المخلصون ، انبذوا الاختلافات ودعوا الأنانيات ، قاوموا الأغراض الرخيصة والغايات ، حاربوا كل ما يؤرِّث بيننا الأحقاد والعداوات ، اتركوا أسباب التفرقة كلَّها واتحدوا ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، كونوا دائما أنصار الحق ، أعداء الباطل ، إن كنتم تريدون حياة المجد ، وسعادة الأبد .

من الغني ؟

الغني حقًّا هو الذي جمع المـال من الوجوه المشروعة ، واكتسبه بصدقه وأمانته ، بنصحه وإخلاصه ، نفع به نفسه وأهله ، وأمته ووطنه ، أخذه حلالاً طيباً ، وعفَّ عمـا في أيدي الناس راضياً مسروراً ، هذا هو الغني بل هو أغنى الناس.

سئل أحد الحـكماء عن رجل من الأغنيـاء : ما تقول فيه هل هو غني أم فقير ؟ فقال : إن اكتفى بما ملك وقنع به ولم تستشرف نفسه إلى ما في يد غيره فهو غني ، وإلا فهو فقير .

العقيدة

إذا بحث الإنسان الإسلام بعقله متجرداً عن الغـايات والوراثات ، ودرس فضل مبادئه وشرف مقاصده ، علم أنه هو القانون الإلهي الكامل ، الحافظ لحقوق الخلق ، واعتقد

أيضاً أنه الوسيلة الوحيدة لانقاذ العالم من المشاكل والأخطار ، تلك الأخطار التي تُحيط به من جميع الجهات ، ومن اعتقد ذلك بذل جهده في نشره ، حباً بالخير وإيصاله لأهل الأرض ، وحفظاً لهم من الدمار وأهوال الحرب .

كذبة نيسان

الكذب قبيح ، ويزداد قبحاً إذا صار عادة متبعة ، يتسابق إليه الناس ويفتخرون به ، ويتفننون فيه ، ويَعدونه من الطُّرف المستحسنة ، والمُلح البديعة المحببة ، كما ترى الناس يفعلون في أول نيسان من كل سنة ، فإنهم يستبيحون في هذا اليوم الكذب على اختلاف أنواعه ، وقد يكون فيه نوع سمج جداً ، كأن يرسل أحد الكذابين إلى بيت صديقه يقول : إن ابنكم فلاناً قد صدمته سيارة فيزعج الأسرة كلها وإذا لمته أجابك بابتسامة بليدة : هذه كذبة نيسان .

خدع المظاهر

قال لي أحد الإخوان : اجتمعت اليوم برجل أخذ الأبصار مظهره وجماله ، وملأ الأسماع حديثه وكلامه ، وراح يمدحه و يُثني عليه ، فقلت له : يا أخي هل درست أخلاقه وأمانته ، وهل عاملته أوجاورته حتى تأكدت صدقه وإخلاصه؟ فقال : لا . إذاً كيف يجوز لك أن تعتمد على مظاهره وأقواله ، ومتى كانت الملابس والأموال ، والجمال والأقوال ، دليل الفضائل والأعمال ؟ فلا تغتر يا أخي بمثل هذه المظاهر المزخرفة ، فكم من سمين الجسم هزيل الإيمان ، غني المال فقير الأعمال ، كاسٍ بفاخر الثياب عارٍ من مكارم الأخلاق .

جولة في عيد

دخلت داراً في شارع أبي رمانة أهنئ صاحبها بالعيد ، فوجدت البناء ضخماً جميلاً ، والأثاث والمفروشات على غاية من الجودة والأناقة والتنسيق ، مما دل على حسن ذوق صاحبها وسعة ذات يده ، فقلت في نفسي : جميل أن يُظهر الإنسان آثار نعم الله عليه ، وجميل أن يتمتع بها ما دامت جمعت من الحلال الطيب . وصرفت في الحلال الطيب ، ومن الجميل أيضاً أن يشكر المنعمَ المتفضل ، يشكره بلسانه وقلبه ، وبماله وعمله ، يشكره بالإحسان إلى الفقراء المحرومين ، والأيتام المعدمين والضعفاء المعذبين ، الذين لا يجدون ما ينفقون .

ارحموا أيها الأغنياء المساكين ، واعطفوا على البائسين ، وأعينوا المحتاجين تتنزل عليكم من الله الرحمات والبركات ، وتدفع عنكم المصائب والويلات .

قلوب مفجرة

جاءت امرأة قروية بابنة لها لا تتجاوز الثامنة من عمرها ضاق أبوها ذرعاً بنفقتها ، لضيق ذات يده ، جاءت بها إلى رجل اعتقدت به الخير والصلاح وقالت له : إنني أضع هذه الطفلة بين يديك معتمدة على دينك ومروءتك ، فضمها الرجل إلى أهله ، وأنزلها منزلتهم ، فأطعمها وألبسها مما يطعمهم ويلبسهم ، ولم يؤذها بيد ولا لسان حتى بلغت السنة الرابعة عشرة من عمرها ، وكان يعطي والديها من المال ما تسمح له به اقتصادياته ، وهكذا لم تزل تتقلب البنت في رغد من العيش ، لا تشعر إلا أن رب البيت والدها ، وأن ربته والدتها .

وفي مساء أحد الأيام جاءت أمها على غير ميعاد تريد إخراجها من جنتها التي نعمت فيها ، وعشها الذي نبت فيه

ريشها . أخذت البنت ترتمي على قدم أمها والدموع تتفجر من عيونها ، طالبة منها أن تدعها في هذا البيت الذي نشأت فيه ، وتذوقت طعم العطف والإحسان ، فرفضت الأم طلبها بصورة قاسية فراح من شاهد هذا المنظر يرجون من الأم أن تجيب طلب ابنتها فلم تزدد إلى استكباراً ، عادت البنت تستعطف أمها متوسلة إليها أن تتركها حتى يعود صاحب البيت من عمله لتشكره على إحسانه ، فما كان من الأم المتحجرة القلب إلا أن دفعتها أمامها غير آبهة ببكائها وعويلها .

إلى الصائمين

إمتنع أيها الصائم عن سائر المفطرات ، وعن سيء الكلام وقبيح الفعال ، ولا تقابل من أساء إليك وسفه عليك ، بالإساءة والسفه ، بل قابله بالإعراض عنه وقل له كما أمرك النبي ﷺ : إني صائم إني صائم .

الخداع والدجل

كل فرد من الأمة يدّعي أنه وطني ، وأنه خادم لأمته وبلاده ، وأنه مغرم في مصلحتهما ، يبذل ماله وحياته في الدفاع عنهما ، وجلب الخير لهما . تكثر أمثال هذه الدعايات ، وتزداد في أيام الانتخابات ، فيملأ المرشحون جدران المدينة وشوارعها بصورهم وبياناتهم ، شارحين فيها خططهم ، مؤكدين للأمة وعودهم الإصلاحية ، يقولون : إذا نلنا ثقتكم الغالية وفزنا بالانتخابات سنخدمكم ونخدم الوطن في جميع النواحي : العلمية والثقافية ، الزراعية والتجارية ، الاقتصادية والأخلاقية ، بل سنجعل البلاد تدر سمناً وعسلاً .

وبعد هذا كله حينما تسكن العاصفة ، وتنتهي الانتخابات نجد آسفين كل ذلك حبراً على ورق وادعاءات فارغة ذهبت مع الريح ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الأنانية

كل ما لقيته الأمة العربية في الماضي من خذلان ، وما أصابها من إخفاق ، فمصدره الأول الأنانية ، تلك الأنانية التي عمت أكثر أفرادنا ، فلم ينجُ من شرها عالم ولا جاهل ، ولا غني ولا فقير ، ولا سياسي ولا أمير هذه الأنانية الهدامة التي تغلغلت في صميم حياتنا : في تجارتنا وأعمالنا ، في جمعياتنا وأحزابنا في شيوخنا وشبابنا حتى أصبح لسان حال كثرتنا يقول : أنا أنا ، أنا كل شيء ، مصلحتي فوق الجميع ، وعلى الأمة والوطن العفاء ، أما اليوم وقد بدأت الأنانيات تتلاشى شيئاً فشيئاً ، والغايات السيئة تضمحل يوماً بعد يوم ، فإننا سنرى الأمة (إن شاء الله) تعمل للصالح العام بتجرد و إخلاص حتى تصل إلى ما تصبو إليه من تقدم وعز ومجد .

الموت

يظن أكثر الناس بل يعتقد أن الموت مصيبة من أعظم المصائب ، وبلاء من أكبر البلايا ولو فكروا بعقولهم لعلموا أن الموت رحمة ونعمة أيضاً ، إذ لولاه لضاقت الأرض بالسكان رغم سعتها ، ولبرم الناس بالحياة ، لولا الموت لزاد طغيان الطاغين ، وتضاعف شر المفسدين وكثر عدد الجبابرة المتكبرين .

الموت حق وكلنا يعلم أنه حق لا شك فيه ، وأنه واقع لا مرية فيه ، وأنه في كل يوم بل في كل ساعة يختطف من بيننا والداً كريماً ، وولداً عزيزاً ، ويجتث منا قريباً وداوداً ، وصديقاً حميماً ، مع هذا كله فنحن نمعن في الجرائم والتعديات ، ونرتكب أنواع المخازي والمنكرات . فكيف يكون الحال إذا لم يكن موت وعذاب ، ولم يكن بعده بعث ولا حساب ؟

طول الحياة وقصرها

ليس لطول الحياة وقصرها قيمةٌ في نظر العقلاء ، الذين ينظرون إليها نظر الحكيم المحقق ، والذكي المدقق ، وما قيمة الإنسان إلَّا ما ينتجه من خير وعلم ، وما يحصله من خلق وفضل ، وما يتركه في المجتمع من الأعمال الخيرة ، والآثار النافعة الباقية التي ترفع شأنه وتخلد ذكره ، فكم من رجل عاش أكثر من مائة سنة ولم يسجل في حياته عملاً مفيداً ، لا لنفسه ولا لأمته ولا لبلاده ، ثم مات ولم يُذكر بخير ، وكم من رجل عاش ومات قبل أن يتجاوز الأربعين سنة وقد ملأ الدنيا علماً نافعاً ، وأعمالاً خيِّرة ، وذكراً حسناً ؟ فإذا اجتمع للانسان طول العمر وحسن العمل ،فقدحاز الفضيلتين ونال السعادتين .

الحق

لا يضير الحق قلة مؤيديه ، ولا ضعف مناصريه ، فالحق مؤيد بطبيعته ، قوي بذاته ، لا تقف في وجهه قوة الباطل مهما كانت عظيمة ، نعم قد يغفل عن الحق أنصاره ، ويتخاذل أعوانه ، ويكثر أعداؤه ، فتضعف في بعض المعارك شوكته ، ولكن النصر في المعارك الأخيرة له ، والحياة له ، وله الخلود .

يعلم ذلك من قرأ التاريخ بعقله وفكره ، وسبر وقائعه بعلمه ودراسته . فقد تكالب — في فترة من الزمن على الحق — أهل الباطل حتى كادوا يقضون عليه ، فإذا به ينهض مستصرخاً أهله فإذا هم قيام ينتشرون ، وعنه يدافعون ، وفي سبيل حياته يستميتون ، وإذا بالحق يعلو وينتصر وبالباطل يسفل وينهزم .

الباطل

إذا مضت على الباطل الأعوام والقرون ، واعتنقته الملايين بل الناس أجمعون . فهل يخرجه ذلك كلُّه عن حقيقته ، أم هل يجعله قدم العهد وكثرة المؤيدين حقاً ؟ كلا . بل يبقى باطلا ، نعم يبقى باطلا بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

كثير من الناس تراهم على باطل في عقائدهم : دينية كانت أو سياسية ، علمية أو فلسفية ، ومع ذلك فهم يدافعون عنها ، ويتحمسون لها ، فإذا أراد ناصح أمين أن ينقذهم من الباطل ، ويرشدهم إلى الحق ، وأتاهم بالحجج الشرعية ، والبراهين العقلية ، فروا منه كأنهم حُمُر مستنفِرَة فرَّت من قَسْوَرَة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله تعالى أن ينور قلوبنا بنور الإيمان ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ما هذه الوطنية

قد أصبحت الوطنية عند الكثير سِلعة يتاجرون بها ، وسُلَّماً يصعدون عليه إلى الزعامات والنيابات ، ومنهما إلى الوزارات والرياسات ، فكم رأينا ممن ادَّعى الوطنية من داس الوطن وأهله في سبيل الوصول إلى أغراضه وغاياته ، لا يبالي بالوطن : عزَّ أو هان ، ولا بالأمة تقدمت أو تأخرت ، عاشت أو ماتت ، بل لا يتورع من أن يمزق الأمة العربية شيعا وأحزاباً ، ويدعوَها إلى أن يثور بعضهـا على بعض ما دام يتوهم أن هذا يوصله إلى نيل آرابه الخسيسة ، ومقاصده الخبيثة ، فأي وطنية هذه ، وما حقيقة الداعي إليها ؟

إنني لا أستطيع أن أسمي هذا الداعي وطنياً ، بل هو أحد رجلين : إمَّا خائن مأجور ، أو متهور مجنون .

كلمة مخلصة

كلنا وطنيون ، كلنا نتسابق في حب الوطن وخدمته ، وكلنا يدعي أنه مستعد لبذل ماله وحياته في سبيل إعزاز البلاد ، وإعلاء كلمة الإمة .

إذا كنا في ذلك صادقين فلماذا تمضي علينا عشرات السنين تتلوها العشرات ، ولا نرى تقدماً محسوساً ، ولا اتحاداً ملموساً ، ولاعملاً جدياً ، إن ضعف سيرنا نحو أهدافنا وبطء تقدمنا يدل على أننا غير صادقين ، وأننا غير مخلصين .

أيها العرب : ملوكاً ورؤساء ، قبائلَ وأمراء ، أفراداً وجماعات ! من كان منكم متخلفاً عن الركب فليسرع ، فإن مجدكم وعزتكم ، بل وجودكم وحياتكم ، لا تصان إلا بجمع كلمتكم وتوحيد صفوفكم ، فاعملوا على ذلك متوكلين على الله ربكم ، مخلصين إليه ينلكم ماتبتغون ويوصلكم إلى ما ترغبون.

إلى العرب

أيها العرب في دنيا العرب ! كل فرد منا شاعر بالأخطار المحدقة بالأمة العربية ، وكلكم يعلم أنه لا ينقذنا من هذه الأخطار إلا اتحادنا وتوحيد كلمتنا وتقوية صفوفنا ، لذلك يفترض علينا جميعاً أن نقف في وجه كل عدو يريد أن يفصم عرى وحدتنا ، ويفرق كلمتنا ، ويبعثر صفوفنا ، وأن نأخذ على أيدي الكتاب المتهورين ، والخطباء المتهوسين ، والشعراء المتحمسين ، ونعلمهم أن كل كلمة تخرج من أفواههم سيسمعها العالمان الغربي والشرقي ، فلا يجوز للعربي المخلص أن يخرجها من فيه إلا بعد دراسة وتفكير ، فالقاء الكلام بلا روية ولا عقل ولا تحفظ ولا فكر ، أفتك بالأمة من القنابل الذرية .

فارحموا أيها العرب أنفسكم وأبناءكم وأوطانكم ، واعتمدوا أيها المؤمنون على ربكم فهو معكم وناصركم .

الانتحار

إن قتل الإنسان أخاه الإنسان جريمة عظيمة ، وأعظم منها أن يقتل الإنسان نفسه . ولا يُقدم على ذلك إلا ضعيفُ الإيمان ، ناقص العقل ، فاقد الإرادة ، جاهلٌ بما يؤول إليه أمره بعد مفارقته هذه الحياة ، ولو علم أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، وأن ألمه أعظم من ألمها لما أقدم على إزهاق روحه ، وهدم ما بناه الله ، إن أكثر من يرتكب جريمة الإنتحار : إمَّا تاجر أخفق في تجارته ، أو تلميذ سقط في امتحاناته ، أو مريض يئس من شفائه ، أو خاطب لم يصل إلى بغيته .

ولو علم هؤلاء ، أن الصبر والجد والاجتهاد والاعتماد على الله يوصلهم إلى غاياتهم ، وينهضهم من كبوتهم لتذرعوا به ففازوا في دنياهم ، وسعدوا في أخراهم .

إلى المستعمرين

أيها القساة المجرمون ، أيها الظلمة المعتدون أيها الوحوش المتمدنون ! إلى متى تفتكون وتقتلون ؟ وتُخرِّبون وتُدمِّرون ؟ إلى متى ترتكبون هذه الجرائم من غير أن تفرقوا بين شيخ فانٍ وطفل رضيع ، ولا بين امرأة ناعمة ورجل ضعيف ، أليس لكم قلوب تتألم وضمائر تتأثر ؟

إن هذه المآسي التي تمثلونها منذ قرون لا تتنزه عنها الإنسانية فحسب ، بل تشمئز منها الوحوش الضارية ، وتنفطر لها قلوبها ، وتتمزق أحشاؤها ، إذاً أنتم أغلظ أكباداً منها .

فارجعوا عن غيكم ، وثوبوا إلى إنسانيتكم ، قبل أن يشتد غضب الجبار عليكم ، فيدمركم ويجعلكم عبرة لمن بعدكم .

الى الانسانيين

أيها الأحرار المتمدنون ! والرحماء الإنسانيون ! ألم تسمعوا بالمذابح التي تجري على الكرة الأرضية ؟ ألم تبلغكم تلك المجازر البشرية ، ألم تصل إليكم أخبار الدماء المتدفقة من أوداج إخوانكم في الإنسانية ؟ نعم قد سمعتم ، وبلغكم ووصل إليكم ذلك كله ، فماذا أنتم فاعلون ؟ هل تقفون أمام هذه الفظائع وقفة الأصنام التي لا تحس ولا تشعر ؟ أم تبرهنون على صدق إنسانيتكم ، وحقيقة رحمتكم ، بجمع كلمتكم ، والوقوف صفاً واحداً في وجوه هذه الوحوش الضارية ، والقضاء عليها ، هذا ما يجب عليكم ، وبهذا يمكنكم أن تهيئوا للعالم أجمع حياة أفضل ، حياة يشعر فيها الإنسان أنه حقيقة أخو الإنسان ، وأنه أمين على حياته وأوطانه ومقدساته .

الاستشارة سبيل السلامة

العاقل إذا أراد سفراً ، استشار أهل الخبرة والمعرفة ممن سافروا قبله ، وسألهم عن أحسن الطرق أمناً وراحة ، ومن أراد التجارة استشار النصحاء من التجار الذين أفنوا قسماً من حياتهم في ممارستها ودراستها ، ثم عمل بنصيحتهم وإرشاداتهم وكذلك يفعل العاقل في كل أمر من أمور الحياة الدنيوية فلا يقدم على عمل إلا بعد أن يسأل العالم المتخصص فيه ، ويجب عليه أن يهتم أيضاً لأمور حياته الأخروية الخالدة ، فلا يأخذ علوم دينه إلا عن العلماء الأتقياء ، المخلصين العقلاء ، المتمسكين بكتـــاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، الذين لا تتلاعب بهم الأهواء ، ولا تؤثر فيهم البدع والخرافات ، الواقفين في وجوه أهل الزيغ والضلالات ، وقوف الجبال الراسيات .

مقابلة الإحسان بالإساءة

كان فقيراً في غرفة صغيرة ، يعيش فيها وأولاده وزوجه ، فيها يأكلون ويشربون ، ويسهرون وينامون ، كان يعمل نهاره بجد ونشاط ، ولا يصل إلى ما تدعو إليه ضرورة الحياة إلا بمشقة عظيمة ، كان صالحاً تقيًّا محافظاً على صلواته ، كابحاً لشهواته ، متمسكاً بأخلاقه .

دار الزمان دورته فأصبح هذا الفقير غنيًّا ، اشترى داراً جديدة فسيحة وفرشها بأجمل الأثاث ، وألبس أسرته فاخر الثياب ، وأطعمها ما لذ وطاب ، ولكنه ـ يا للأسف ـ بدل نعمة الله كفراً ، وقابل إحسانه بالإساءة ، وفضله بالعصيان ، فهجر الصلاة والصيام ، وحالف الذنوب والآثام ، وترك الفضائل والصالحات ، ولزم المخازي والسيئات ، ألا يخشى هذا

المغرور أن تُسلب منه نعم الله ، ويعود فقيراً كما كان ، أو أفقر مما كان قال تعالى : من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلّام للعبيد . « سورة فصلت . آية ٤٦ . »

راحة الضمير

عليك أيها العربي المؤمن واجبات كثيرة : واجبات نحو ربك ووطنك ، ونحو أمتك ، فواجباتك تجاه ربك أن تقوم بكل ما أمرك به ، وأن تجتنب كل ما نهاك عنه .

وواجباتك نحو وطنك ، أن تقدم كل ما تستطيع في سبيل عزته ، وتقوية سلطانه ، وأن تبذل مالك وحياتك دفاعاً عن حوزته وصوناً لشرفه .

وواجباتك نحو أمتك أن تجتهد في خدمتها بصدق وإخلاص وأمانة ، مستهدفاً نفعها ورفع كلمتها ، باذلا جهدك في سبيل تقدمها وسعادتها ، فإن فعلت شعرت براحة الضمير ، وبرد الإيمان .

غني شاكر

ذاق حلاوة الغنى والإنعام ، بعد أن ذاق مرارة الفقر والحرمان ، جلس في غرفته وأطل من نافذتها على حديقته الجميلة ، التي فيها من كل فاكهة زوجان ، ومن كل زهر نوعان نظر بعين بصيرته لا بعين باصرته هذه النعم ، فشكر الله المنعم ثم خاطب نفسه قائلاً : قد كنت فقيراً فأغناني الله ، فهل ينفعني قولي : الحمد لله والشكر له ، من غير أن أقرن الأقوال بحسن الفعال ؟ لا لا ينفعني بل لا بد لي من أن أعين من كان مثلي ، فشمر عن ساعد الجد وأنفق الكثير من أمواله على الفقراء والمساكين ، وساعد الأيتام والمحتاجين ، وساهم في المشاريع الخيرية الإصلاحية العامة على اختلاف أنواعها ، فنفع نفسه وأهله ، وأمته وبلاده . فبمثل هذا الغني الشاكر فليقتدِ المقتدون ، وبمثل أعماله فليعمل العاملون .

إلى كل عربي

أيها العربي في الشرق والغرب ، أيها العربي في الجنوب والشمال ! اسمع أيها العربي صوت العروبة يجلجل في كل أرض ، اصغ إليه بقلبك وفكرك ، قبل أن تصغي بسمعك ، اصغ إليه واعمل مايوجبه عليك إيمانك وشرفك ، وما تفرضه عليك عزتك وكرامتك ، وما تدعوك إليه عروبتك ووطنيتك ، اصغ إليه فإنه يناديك قائلاً : إنك في خطر عظيم ، فالأعداء يعقدون المؤتمرات لإذلالك ، والقضاء على أمجادك ، ولا يقيك شرهم إلا انضمامُك إلى أخيك العربيِّ ، واتحادُك معه ، ولا يدفع عنك هـذا الخطر المحدق غيرُ القوة ، والقوة لا تتحقق إلا بجمع الكلمة والمحبة ، فاعمل في هذا السبيل تنقذ أمتك والإنسانية المعذبة ، وأخلص في ذلك كله لله تعالى .

الصدق

إن أجمل ما يتحلى به الإنسان في هذا العصر وفي كل عصر ، الصدق ، الصدق في الأقوال والأعمال ، في الظاهر والباطن ، في الدين والدنيا ، وهو دائما في مصلحة الجميع : فالتاجر الصادق محبوب لدى عملائه ، موثوق عند كل من خالطه في بيعه وشرائه ، موفق في تجارته وأعماله . ومثل التاجر العامل والصانع ، والطبيب والزارع ، والسياسي والقائد ، والمتعلم والعالم ، والحريص والزاهد ، والمحكوم والحاكم . فإذا شاع الصدق في أمة بلغت من العظمة والمجد غايتها ، ومن التقدم والرقي آمالها .

الصدق حلية العلماء ، وزينة الأدباء ، ورأس مال الفقراء ، ومفتاح الخير ، ورسول النجاة .

أبواق المستعمرين

كفوا يا أذناب المستعمرين عن النفخ في هذه الأبواق ، فقد فتح باب الوحدة العربية ، تلك الوحدة التي كانت أمل العرب منذ أجيال ، والتي استشهد في سبيل تحقيقها العدد الضخم من الآباء والأجداد ، تلك الوحدة التي أينعت ثمارها ودنا زمن نضوجها واقتطافها بفضل المخلصين من أبنائها ، الذين قضَوا على الأنانيات ، وداسوا بأقدامهم الغايات ، مستهدفين استرجاع عز العرب ومجد العرب وكرامة العرب ، عاملين على تحرير العرب وبلادهم من كل أجنبي مستعمر .

كفوا يا أبواق المستعمرين عن النفخ فقد انتشر نور الحرية فبدد ظلام الاستعباد ، كفوا فقد استيقظ العرب في جميع دنيا العرب ، وكسروا الأغلال وصمموا على أن يعيشوا أحراراً في وطنهم ، وأن يعملوا على خيرهم وخير بلادهم وخير الإنسانية .

الصيام

أيها العبد المؤمن أمرك خالقك الذي خلق كل شيء أن تصوم كل سنة شهر رمضان ، فما عليك ـ وأنت المعترف بالعبودية إليه ـ إلا أن تمتثل أمره وتقول : سمعت وأطعت ، هذا إذا لم يظهر لك شيء من منافع الصوم ، فكيف وقد ثبت لك أن له فوائد عظيمة : صحية واجتماعية ، أخلاقية وتربوية مما ستقرأ في صفحات هذا الكتاب شيئاً عنها يزيدك إيماناً بوجوب المحافظة على صيام هذا الشهر ، شهر رمضان ويدفعك إلى العطف فيه على إخوانك من المساكين والفقراء ، ويدعوك لمساعدة المحتاجين والضعفاء وبذلك تنال من الله الرحمة والغفران ، والمحبة والرضوان .

الصيام فرض على كل مسلم ومسلمة لا يجوز التهاون به إلا لعذر شرعيّ كالسفر والمرض .

الصيام والأخلاق

من أفضل الصفات التي يجب أن يتصف بها الصائم ، الأخلاق الرضية الفاضلة ، وهي كثيرة ، منها أن تستقبل إخوانك بوجه مشرق وثغر باسم ، وأن تسلم عليهم وتصافحهم وأن تعرض عليهم معونتك إذا شعرت بأنهم بحاجة إلى المعونة وأن تستوضح عن أحوالهم ، فإن وجدتهم في كرب فرجت عنهم كربهم ، وإن رأيتهم محتاجين إلى المال بذلت لهم من مالك ما يسد حاجتهم ، وإن كانوا مصابين بشيء من المصائب واسيتهم وخففت آلامهم ، بإحسانك وجودك تارة ، ولسانك ولطيف حديثك أخرى ، بل بكل ما تستطيع ، فإن فعلت فأنت من أفضل الصائمين ، وأعظم الإنسانيين .

الصيام والصحة

قد ثبت لدى الكثير من الأطباء الشرقيين والغربيين ، أن الصيام يطرد السموم المتراكمة من فضلات الطعام ، وينشط الدورة الدموية ويريح المعدة إلى غير ذلك من الفوائد الصحية ولا يجوز للصائم أن يمسك عن الطعام والشراب نهاره ، ثم يملأ عند الغروب معدته بأنواع من الأطعمة الغنية بالغذاء كاللحم والدهن والسمن، ثم يضيف إلى ذلك شرب الماء البارد وعصير الفواكه حتى يضيق منه مجرى النفس ، وعند ذلك يشكو البِطْنة وآلامها وينسب ذلك للصيام ، والصيام براء من ذلك كله ، وما السبب المباشر لهذه الآلام إلا شره الصائم وسوء تصرفه وضعف إرادته ، ولو صام الصيام الشرعي الموافق لقواعد الصحة ، لما شكا ألماً ، بل لنعم بالصحة والقوة والنشاط .

الصيام والاجتماع

للصيام غير الفوائد الصحية والأخلاقيه فوائد اجتماعية ، منهـا أنه يُلين القلوب القاسية ، ويرقق الأكباد الغليظة ، فإذا ذاق الغني شيئاً من ألم الجوع في شهر رمضان شعر بلا شك بما يصيب الفقير من ألم الحرمان طول السنة ، فيدفعه هذا الشعور إلى أن يمد إليه يد الإحسان ، ويعطف عليه وعلى أولاده الذين يتشوقون إلى رائحـة الغذاء ، وإلى النظر إلى الكساء الذي ينعم به الأغنياء وأولادهم ، إن هذا الشعور يوقظ ضمائرهم ، وينمّي إنسانيتهم ويحملهم على حب الخير ، فيساعدون المحتاجين من أقربائهم وجيرانهم ، وأصدقائهم وبني أوطانهم ، وبذلك تقوى بينهم أواصر الاتحاد والألفة ، وتشتد روابط الاحترام والمحبة .

احذروا الكذب والكذابين

الكذب رذيلة حذرت الأديان كلها من الاتصاف بها، كما نهى عنها العلماء والحكماء، والفلاسفة والأدباء، وأرباب الفكر والعقلاء، فالكذب ممقوت سواء أتى من الشرق أو من الغرب، مضر في الجد والهزل، ففي الجد يذهب بالثقة فلا يستطيع أن يعتمد أحد على غيره بحال، وهل تعيش أمة لا يثق بعضها ببعض ؟

وضرره في الهزل لا يقل عنه في الجد، فكم كذبة أورثت هماً وأحدثت فرقة وفتنة، وجرّت ضرراً وبلاء ؟

الكذب حرام شرعاً وعقلا فاحذروه وحاربوه في كل مكان وزمان، وخصوصاً في أول نيسان حيث يبيحونه في الغرب، فيجب علينا أن نقاومه في الشرق حتى لا نكون كالقردة مقلدين.

الطبيعة وجمالها

أطل من شرفة داره على سهل الزبداني فرأى منظراً رائعاً يأخذ بمجامع القلوب : هنا قطع من الأرض متجاورات ، تكسوها حلل سندسية خضراء ، بجانبها قطع جرداء لونها أصفر كالذهب بل هي أجمل ، وقطع بيضاء كاللجَيْن بل هي أبدع ، وأخرى شقراء كشعر الكاعب الحسناء ، وكلها بأشكال هندسية جميلة : منها المربعة والمستطيلة ، والمثلثة والمسدسة ، وكلها مناظر توحي إلى الكتاب والشعراء المعاني الرقيقة ، والألفاظ الساحرة ، وخصوصاً في الساعتين اللتين قبل الشروق وقبل الغروب .

وهناك وهنالك أشجار مختلفات ، تُسقى من ماء واحد ، وتنبت في تربة واحدة ، ويُفضَّل بعضها على بعض في الأُكل والجمال ، إن في ذلك لآيات .

تحيط بهذا السهل جبال تزيده جمالاً وروعة ، فيها جُدَد بيض وحمر ، وفيها غرابيب سود ، هذا ما يظهر في هذه السهول والهضاب ، والأودية والجبال ، أما ما وراء ذلك من الكنوز الطبيعية ، والثروات المدفونة ، فذلك مالا يعلمه إلّا خالقها ومبدعها ، وغداً إن شاء الله يستثمر هذه الخيرات الشعب العربي الذي شق طريقه إلى العلياء والتقدم ، بأقدام ثابتة وهمة عالية ، وقوة هائلة ، وعزَم على أن يساهم في بناء الفضيلة ، وخدمة الإنسانية ، ونشر السلام والأمان ، والإسلام والإيمان .

السلام

السلام كلمة محببة تتعشقها الأسماع ، وتهوي إليها الأفئدة ، وتتطلبها النفوس الطيبة ، وتشرئب إليها أعناق البشرية .

السلام غاية يسعى للحصول عليها كل إنسان يفهم معنى الإنسانية ويشعر بها ويتذوقها .

عز الوطن بأبنائه

عزة الوطن متوقفة على عزة أبنائه ، ولا يعتزون إلا إذا كانوا علماء مخلصين ، أقوياء متحدين ، فالعلم يقوي إيمانهم ، ويُرقي تجارتهم وزراعتهم، ويُحسِّن جميع أحوالهم ، والإخلاص يدفعهم إلى طريق العزة والكرامة ، ويوحِّد صفوفهم ويجمع كلمتهم ، والاتحاد يُعلي مكانتهم ويحدث المهابة في قلوب أعدائهم ، ويُورِث القوة فيهم : قوة الحرب وعُددها ،وعلومها وفنونها ، وأساليبها وخدعها ، وبذلك تستطيع الأمة أن تحفظ حياتها واستقلالها ، وتدافع عن بلادها ومقدساتها ، وحينئذ يحق لهذه الأمة أن ترفع رأسها عاليا ، وتساهم في تحرير الأمم وتقرير السلام ، وتقضي على ويلات الحروب والطغيان ، ويحق للوطن أن يفتخر ويعتز بهؤلاء الأبناء ، العاملين الأقوياء ، البررة الأوفياء .

الكذب والكذابون

الكذب، من أحط الصفات التي يتصف بها إنسان ، فالكاذب جبان ساقط المروءة ، لا قيمة له عند أهله وجيرانه ، ولا عند أصدقائه وخلانه ، محتقر بين عشيرته وقومه ، مهين في نظر أحبابه وأعدائه ، إذا تكلم لا يُصدق ، وإذا وعد لا يثق بوعده أحد ، بل لا يثق هو بنفسه ، فهل يرضى عاقل أن يتصف بهذه الصفة الدنيئة ، وأن يسقط في مثل هذه الهوة السحيقة ، وأن ينحط إلى تلك المنزلة الذميمة التي تذهب بكثير من المحاسن ، وتقضي على الفضائل ، فلنبتعد جميعاً عن الكذب والكذابين ، ولنتقرب من الصدق والصادقين ، فخاتمة الصدق السعادة ، ونهاية الكذب الشقاوة .

قال أحد الحكماء : عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأنفع من الصدق .

حصن العروبة

إن المستعمرين أعداء العروبة يشتغلون دائماً وأبداً في تفريق كلمة العرب ، وتشتيت جمعهم ، وتمزيق صفوفهم ، ليحتلوا أوطانهم ، وليستعمروا بلادهم ويسلبوا خيراتها ، وقد أصابوا بواسطة عملائهم وخدعهم شيئاً من النجـاح ، أما اليوم فلا نجاح لهم ولا فلاح ، فقد انتبه العرب على أثر الصيحة القوية التي صاحها المخلصون من زعماء العرب ورؤسائهم ، فسمعتها دنيا العرب تلك الصيحة العاقلة المقرونة بالقوة والشجـاعة ، المدعومة بالحق والعدل ، الداعية إلى الإيمان والأمن ،والإسلام والسلم ، وإلى جلب الخير ودفع الشر ، ليس لنا وعنا فحسب ، بل للانسانية كلها وعنها . أيها العرب اقرأوا تاريخ أجدادكم ، وادرسوا أخـلاقهم وعاداتهم ، دراسة علمية ، وتمسكوا بأحاسنها تنالوا عزًّا عظيماً ، ومجداً خالداً .

التبذير

من الأمور الضارة للأفراد والجماعات ، التبذير ، وهو إنفاق الأموال في الكماليات التي لا تدعو إليها حاجة ، ولا تتطلبها ضرورة الحياة ، وأشد من هذا ضرراً إنفاقها على الملذات والشهوات ، والمخازي والسيئات ، التي تسبب لفاعلها الفقر والشقاء ، وللأمة الخزي والبلاء . قد يقول قائل : إن التبذير مضر بالنسبة للفقراء والمتوسطين ، ولكن ما ضرره بالنسبة للأغنياء المتمولين ؟ فأقول : إن كنت أيها المعترض غنياً ففي الأمة فقراء يحتاجون إلى عطفك ومواساتك ، وبؤساء يفتقرون إلى برك وإحسانك ، وفي الوطن مشاريع نافعة تتطلع إلى مساعدتك . فاشترك في مثل هذه الأعمال المفيدة ، والمشاريع الخيرة تنل العزة في دنياك والسعادة في أخراك .

حياة العرب

لا حياة لأمة ولا استقلال ، ولا عزة ولا إكرام ، ولا مجد ولا سلطان ، وهي متفرقة الآراء مبعثرة الأجزاء ، متعددة الغايات والأهداف ، رؤساؤها متنافرون وشعوبها متفرقون . هكذا كان العرب في الماضي ، وكان الأجنبي يسومهم سوء العذاب ، أما اليوم وقد جمعوا كلمتهم ووحدوا أهدافهم ، ونظموا صفوفهم حتى صاروا صفا واحداً ، فلا يستطيع عدو أن يخرق هذا الصف أو يُحدث فيه ثغرة يصل منها إليهم ، نعم قد أصبح العرب بحمد الله أمة قوية عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة ، وستزداد هذه العزة وتلك الكرامة كلما ازدادت الأمة محبة واتحاداً ، وقوة وسلطاناً ، وعدلا وإيماناً ، وإنسانية وأماناً . إن باب التقدم أيها العرب قد فُتح وسبيل المجد قد عُبِّد فما عليكم إلا أن تسلكوه .

الاهتمام بالوعد

كثير من الناس يعِدون غيرهم ولا يفون ، كأن الوفاء بالوعد أمر لا قيمة له ، ولو علم هؤلاء أن شأن الوعد عظيم ، وخطره جسيم وأنه يتوقف عليه نجاح الأمة ، وبه تنتظم أمورها ، وتتقدم بلادها ، لو علموا ذلك لما تهاونوا به وأهملوه ، ولحافظوا على الوفاء به محـافظتهم على أرواحهم ، فكم من تأخير وعد سبب أضراراً جسيمة ، وأضاع فُرَصاً عظيمة ، قد لا يسمح بمثلها الدهر . فعلينا جميعاً أن نفكر قبل أن نعد وعداً هل نحن قادرون وعازمون على الوفاء به ؟ فإن لم نكن قادرين أو عازمين فمن الخير لنـا ولغيرنا أن لا نعد ، فخلف الوعد من علامات المنافقين قال ﷺ : آية المنافق ثلاثٌ إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائْتُمن خان (١) .

---

(١) رواه البخاري . تجده في الأحاديث النبوية صفحة ١٦٠ .

لا يجتمع الايمان والخيانة

إنني لا أعتقد أن رجلا واحدا على ظهر هذه الكرة الأرضية مؤمنا بربه ، معتزاً بعروبته ، راغبا بإعادة مجده وكرامته ، غيوراً على وطنه وأمته ، يضع يده بيد أجنبي ليقضي على هذا الإيمان ، وتلك العروبة ، وليدوس بقدمه هذا المجد وتلك الكرامة ، ويرضى أن يسلم وطنه وأمته ليستبد العدو بمنافع البلاد وخيراتها ، وليتحكم بأموال الأمة ودمائها .

إنني لا أتصور وجود عربي واحد مؤمن يرتكب مثل هذه الخيانة العظمى ، ولو ملكه الأجنبي الدنيا وما فيها ، لأن الإيمان والخيانة ضدان لا يجتمعان في قلب عربي . فاحذروا أيها المؤمنون الأجنبي ودسائسه ، واتقوا أيها العرب المستعمر وعملاءه .

الصاحب المزيف

أصابه عسر بعد يسر ، وضيق بعد سعة حتى تراكمت عليه أجرة الدار ، وهدده صاحبها باخراجه مع أطفاله منهـا ، فأظلمت الشمس بعينه وضاقت عليه الدنيا بمـا رحبت ، ثم تذكر إخوانه الـكثيرين الذين كانوا أيام الرخاء لا يفارقونه فذهب إلى أكثرهم مالاً ، وأكرمهم يداً ، وأعظمهم مروءة ، فأطلعه على دخلة أمره ، وطلب منه أن يسعفه بشيء من المال ، يدفعه لصاحب الدار ليحفظ كرامته ويستر أسرته ، فأظهر هذا الصاحب المزيف ألمه وقال : يا صديقي العزيز ! إنني لا أستطيع أن أجيب طلبك لأن الظروف الحاضرة لا تسمح لي بذلك فقد اشتريت بناية ضخمة ثمنها أكثر من المـال الموجود الآن بين يدي فاعذرني ، فتركه واليأس يحطم قلبـه ويقطع أحشاءه ويبدد آماله .

الوطن العربي

قد عمل المستعمرون منذ أجيال على تفريق كلمة العرب وتمزيق وطنهم ، وتشتيت شملهم واستعانوا على ذلك بالقوة والمال وخدع السياسة ، وقد أصابوا قسما لا يستهان به من النجاح ، فظنوا أن الأمر قد تم لهم ، وأن العرب أصبحوا أمواتاً لا يشعرون ، وذلك بعد أن أحكموا الطوق الحديدي الذي ضربوه حولهم ، فراحوا يتحكمون فيهم ويسومونهم سوء العذاب ، ولم يرعهم إلا صوت العروبة يجلجل في الشرق والغرب ، فاجتمع العرب كلهم حول الصوت ، وكسروا ذاك الطوق ، وعملوا على طرد المستعمرين من أوطانهم وجعلها وطنا واحداً ، مستقلاً حراً ، لا يحكمه إلا العرب ، ولا يسيطر عليه إلا العرب ، ولا قانون غير قانون العرب : قانون العدل والحق والإنسانية .

الحب

من الأمور التي أعتقد أنه لا يختلف فيهـا اثنان ، ولا يجادل بها عاقلان ، أن سعادة البشرية متوقفة على المحبه : المحبة العامة الشاملة إذ لولا محبة الوالدين لأولادهما لم يعش ولد ولم تتكون أسرة ، ولولا المحبة المتبادلة بين الشعب والحكومة لما كان شعب ولا حكومة ، ولولا حب الناس للعلم والفضائل لما حصل تقدم ولا رقي ولا مدنية ، وإذا لم تُملأ قلوب الناس حباً امتلأت بغضاً ، وعندها ينشأ الخلاف وتشتعل نيران الحروب ، ويعم الخراب وينتشر الشقـاء وتضمحل المدنية ويُقضى على الإنسانية . فإلى الحب أيهـا الناس ! أرضعوه أطفالكم ، انشروه في مدارسكم ونواديكم ومجتمعاتكم .

الحب هو الدِّعامة التي ترتكز عليها الحياة الاجتماعية ، والينبوع الذي تتفجر منه سعادة البشرية .

الوحوش الضارية

إن وحوش الغاب التي تنقض على فريستها حينما تكون جائعة وهي بطبيعتها خالية من الشعور الإنساني : فاقدة الإحساس ، لا تعرف الرحمة ، إن هذه الوحوش الضارية أكثر إنسانية من هذه الوحوش البشرية المستعمرة الذين يصبون النيران من أفواه مدافعهم ، ويقذفون القنابل من طائراتهم ، على المدن الآهلة بالسكان ، لا يرحمون الطفل الرضيع ولا الشيخ الفاني ، ولا المرأة الضعيفة ، إنهم يرتكبون كل ذلك ويدعون بكل وقاحة أنهم إنسانيون يدافعون عن الإنسانية ، ويحاربون الظالمين وينصرون المظلومين .

إن وحوش الكهوف والغابات لا تتعرض لغيرها إلا عند ما تشعر بالجوع ، أما وحوش المدنية والإنسانية فإنهم يأكلون لحوم إخوانهم والبطنة تكاد تقتلهم ، وستفعل .

المروءة

المروءة كلمة محببة ، تتعشقهـا الأرواح ، وترتاح إليها الضمائر ، وتنعقد على احترامها القلوب ، المروءة تدفع صاحبها إلى البذل والـكرم ، وإلى المحـافظة على العرض والشرف ، وتحمله على أن يقدم ماله وحياته دفاعاً عن عقيدته ووطنه ، وأمته وكرامته ، كل الناس يدعي المروءة ، والمروءة من أكثرهم براء . قل لي بربك أي مروءة عند من يهتك الأعراض ، ويخون البلاد ، ويكذب على الله والنـاس ؟ يكذب بأقواله وأفعاله ولباسه وهيئته . إن تكاليف المروءة عظيمة لا يستطيع القيام بها إلا الأقوياء من المؤمنين المخلصين ، أصحاب الأخلاق الفاضلة ، والمبادىء العالية . أما الضعفاء المنافقون فستسحقهم المروءة وتبيدهم وتجعلهم أثراً بعد عين .

إلى السلام

إلى من تُهيَّأ هذه الآلات المدمرة ؟ ولأي غاية تَجمَّد تلك الأموال الضخمة ، ولماذا تُجمَّع هذه الملايين من الكتل البشرية ، وهم صفوة الأمم ، وزهرة شبابها ، بل هم معقد آمالها ورجائها ؟ ألأجل الدفاع عن الأمم الضعيفه ؟ ألأجل نصرة الحق والعدالة ، أم لأجل ازدهار العمران والمدنية أم لأجل نشر الرحمة والإنسانية ؟ لا ، لا لهذا ولا لذاك ، بل لبقاء السيطرة الاستعمارية ، والقضاء على الشعوب الناهضة التي تريد أن تحيا كغيرها حرة مستقلة . إن سياسة الاستعمار لانجاح لها بعد اليوم ، وقد ذهبت إلى غير رجعة ، فقد استيقظ ضمير العالم وولى وجههشطر السلام العالمي ، فولوا أيها المسؤولون وجوهكم نحوه ، وجنبوا البشرية ويلات الحروب ، التي تقضي على الغالب والمغلوب .

المظاهر الخداعة

يدخل عليك رجل جميل الصورة ، طويل القامة ضخم الجثة ، عليه آثار الغنى والترف ، ومخايل الجاه والشرف ، فيملأ قلبك هيبة وجلالا ، وصدرك عظمة واحتراماً ، ويدخل عليك آخر دميم الشكل ضئيل الجسم ، كل ما تراه فيه يدلك على أنه صعلوك لا مال له ولا جاه ، فتزدريه نفسك ، وينبو عنه نظرك ، ويحتقره قلبك ، ولو اختبرت أخلاق الاثنين وأفعالهما ، ودرست نفسيهما ، ووقفت على حقيقة كل منهما لعلمت أن الأول لا يساوي فلساً ، وأن الثاني أثمن من الدر والجوهر ، وأنه أغزر عقلاً ، وأغنى قلباً وأشرف نفساً وأعظم عند الله جاهاً .

فعلى العاقل أن لا يغتر بالمظاهر ، فالرجال بالأخلاق والأعمال ، لا بالهيا كل والأموال .

أقصوصة

جلس شاب على ضفة نهر عظيم ، وبينما هو يتمتع بجماله وتدفق مياهه ، إذ وجد امرأة تصارع الماء فتطفو عليه تارة ، ويصارعها الماء فيطفو عليها أخرى حتى كاد يبتلعها ، وحينئذ شعر الشاب بقوة خفية دفعته لأن يلقي بنفسه وسْط هذه الأمواه الغزيرة ، رغم ما في ذلك من خطر على حياته ، مع أنه لم يكن يوماً من المغامرين ، ألقى بنفسه محاولاً إنقاذ المرأة من الموت ، فيشعر بالنجاح والنجاة مرة ، وبالاخفاق والهلاك مرات ، وبعد كفاح مرير خرج من المعركة ظافراً بأمنيته قبل أن يلفظ كل منهما النفس الأخير . خرجا واستلقيا على رمل الشاطىء مغشيًّا عليهما ، وحينما أفاق الشاب من غشيته وقع نظره على المرأة التي أنقذها من الغرق ، فإذا هي أمه فصاح مشدوها : أمي أمي أنت التي كادت المياه تبتلعك ، وتقضي عليَّ

بقضائها عليك ، أنت التي خاطرت بحياتي لإنقاذ حياتك من غير أن أعلم أنك أمي ؟ نعم أنت أمي ، أنت التي أوحيت إلى قلبي أن أغثني ، فألقيت بنفسي في لجج الموت لإنقاذك من الموت . هذا صوت الأصل يستنجد بفرعه ، وهذه استجابة الفرع لأصله ، هذه استجابة الضمير الحي والولد البار ، بأمه الحنون .

الصيام والرحمة

الصيام يدعو الصائم إلى أن يرحم أخاه الفقير ، الذي يقضي أكثر أيامه جائعا لعجزه عن تأمين الغذاء الكافي لنفسه وأسرته فإذا شعر الصائم الغني بشيء قليل من الجوع أو تأخر ميعاد طعامه ـ وكان فيه بقية من الشعور الإيماني والإنساني ـ تذكر بلا شك أخاه الفقير المتألم فمد إليه يد المعونة وعطف عليه ، وبذل له ما يستطيع لتخفيف ألمه ، وسد خلته .

الصيام والأخلاق

كثيراً ما نرى بعض الصائمين يغضبون لأتفه الأسباب ، ويصخبون ويضجون لأحقر الأمور ويثورون ، وإذا انتقدهم منتقد يعتذرون بقولهم : إنَّا صائمون ، كأن الصوم يدعو لفساد الذوق وسوء الخلق ، لا يا أخي لا : إن الصوم يهذب النفوس الشرسة ، ويقوم الطبائع المعوجة ، ويعلم الصائم الأدب ، ويمرنه على التحمل والصبر ، ويرقق الأحاسيس الغليظة ، ويلين القلوب القاسية ، ويحسن الأخلاق السيئة .

مقاومة المنكر

على المؤمن المخلص لعقيدته ، الناصح لأمته ، الغيور على وطنه أن يقاوم المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً : فإن كان من أرباب القوة والسلطان ، قاومه بقوته وسلطانه ، وإن كان من أصحاب الحكمة والبيان ، قاومه بحكمته وبيانه ،

وإن كان من أصحاب القلم واللسان ، قاومه بقلمه ولسانه ، وإن لم يكن من هؤلاء الأبطال ، فلينكره بقلبه وليخذله بالاعراض عنه واحتقاره ، وبذلك يضعف المنكر ويضمحل ، ويقوى الحق ويستقر .

المؤمن والايمان

المؤمن الموفق من نشأ على العقيدة الإسلامية ، والقِيَم الأخلاقية ، ثم وقف عند حدودهما ، ولم يلتفت إلى غيرهما ، ولم تستطع زخارف الحياة ، ومفاتن المدنية الزائفة أن تزحزحه عنها ، بل ثبت أمامهما كالطود الشامخ ، يهزأ بالعواصف ، ولا يبالي بشدة الأنواء .

هذا هو المؤمن الموفق ، الذي دخل الإيمان قلبه ، وخالط لحمه ودمه ، واستولى على حواسه وشعوره ، حتى أصبحت كل حاسة منها لا تفعل إلا ما يوجبه الإيمان القوي ، والخلق الرضي .

الصديق المخلص

مضت خمسة أيام لم يرَ صديقه فيها ، فاضطربت أفكاره ، وراح يسأل عنه فقيل : إنه مريض ، عاده فوجده ملقى على سريره ، شاحب اللون خائر القوى فقال له : ما بك يا أخي وما علتك ومم تشكو ؟ فلم يجبه إلا بابتسامة تنم عن ألم ممض وهم مرهق ، ثم أغمض عينيه وحول وجهه عن صديقه ليستر الدموع التي سالت على خديه ، أثر هذا المنظر في نفسه تأثيراً عظيماً هدَّ كيانه وكاد يذهب بشعوره ، فتجلد وقال له متبسماً : أنت أخي وصديقي فأخبرني عن حقيقة أمرك ، عساني أستطيع أن أخفف شيئاً من آلامك ، ففتح عينيه وتنهد وقال : حينما تركتك منذ خمسة أيام قصدت بائع الخبز لآخذ لأطفالي ما يقتاتون به تلك الليلة فقال لا أستطيع أن أعطيك شيئاً إلا

بعد أن تسدد ثمن ما أخذته في الشهر الماضي ، أثرت في نفسي هذه الصدمة تأثيراً أزعجني ، فدخلت داري فهرول الأولاد والتفوا حولي يريدون الطعام الذي اعتادوا أن يتناولوه مني ، ولما وجدوا يديَّ منه فارغتين تفرقوا عني خائبين ، وجمَد كل منهم في ناحية من الغرفة ، وأمارات الجوع ظاهرة على وجهه ، وعندها أظلمت الدنيا في عيني وضاقت على سعتها في نظري ، وبعد ساعة شعرت بحرارة شديدة تتمشى في جسمي ، فعلمت أن الحمى قد زارتني فرحبت بها وقلت : عساها تذهب بحياتي وتريحني من همومي وآلامي . فنظر إلي نظرة ملؤها الحب والعطف وقال : هون عليك يا أخي فالله كريم ، ودوام الحال محال وإن مع العسر يسرا ، ولكن قل لي بربك لِمَ أخفيت عني ما أنت فيه ؟ فقال له : إنني لم أشأ أن أزعجك فكل ما يرد عليَّ من المال لا يفي بنصف ما أنفقه مما لا بد لي منه ،

فالبيت يتطلب المال والأسرة تتطلب المال ، وكذلك المدرسة وكل ما حولي يتطلب مني المال ، والمال مفقود لدي ، وما أنت بأحسن مني حالاً لأطلعك على دخيلة أمري . فودعني والتأثر الممزوج بالود والحنان ظاهر على أسارير وجهه ، وبعد وقت قصير رجع إليَّ حاملاً قسماً جيداً من المال والطعام والثياب فوضعه بين يدي وقال : هذا شطر ما أملكه تمتع به فأنت أخي وأنا أخوك ، وإنني سأضاعف جهودي في العمل وأقدم إليك شطر ما أكتسبه أيضاً إلى أن تتم صحتك ، وتنفرج أزمتك ، فاغرورقت عيناه بالدموع وقال . اللهم : فرج كربه كما فرج كربي ، وأعنه وارحمه كما أعانني ورحمني ، واستره وأسرته كما سترني وأسرتي ، اللهم كافئه عني فإني عاجز عن مكافأته ، وأجزل له الأجر يا أكرم الأكرمين .

معاملة ولد لأمه

خاطب ولد أمه فقال لها : إني أحبك يا أمي حبا ملك قلبي واستولى على شعوري ، حتى أصبحت لا أرى سعادة في الدنيا إلا أن أراك سعيدة ، وسأبذل حياتي في سبيل رضاك وسعادتك . شب الولد وصار رجلاً غنيًا له مكانته في الهيئة الاجتماعية ، وأصبح زوجا ووالداً ، فأهمل أمه التي بذلت له مالها وقلبها . وعطفها وحنانها ، وتشاغل عنها بزوجته وأولاده .

هرمت أمه ومرضت فكافأها بالإعراض عنها ، ووضعها في غرفة في زاوية داره حتى لا يُنغِّص سعادته بمشاهدتها ، بقيت الأم في غرفتها مع خادم إلى أن ماتت رحمها الله .

أما الولد العاق فلا بد أن يُبتلى في شيخوخته بأولاد يعقونه ، ولا يظلم ربك أحدا .

الأمر بالمعروف

لا تزال الأمـة بخير ما أمرت بالمعروف وعملت به وتعاونت عليه ، ولا تزال الأمة بخير ما نهت عن المنكر وتباعدت عنه ، وتضافرت على إزالته .

أما الأمة التي تأمر بالمعروف ولا تأتمر به ، وتنهى عن المنكر ولا تنتهي عنه ، فهي أمة منـافقة لا يمكن أن يصل أمرها ونهيها إلى قلوب السامعين ، ولا أن يمتزج بأرواحهم . قال الله تعالى : أتأمرون الناسَ بالبر وَتَنْسَوْنَ أنفسَكم وأنتم تتلون الـكتابَ أفلا تعقلون [1] فأخلصوا أيهـا الدعاة : أخلصوا أيهـا الموجهون لربـكم فافعلوا ما أمر ، واجتنبوا ما نهى عنه وزجر ، ثم ادعوا الامة إلى الخير تجدوها طوع أمركم ورهن إشارتكم .

---

(١) سورة البقرة . آية ٤٤ .

مشاكل الحياة

رأى رجل صديقه شاحب اللون ، مقطب الجبين تعلو وجهَه علائمُ الكآبة ، وترتسم على قسماته آثار الكروب فقال له : مالي أرى الهموم قد استولت على نفسك فمحت جمال مُحيَّاك ؟ أين تلك البسمات التي كان يتسم بها ثغرك ، أين ذاك الوجه المشرق الضاحك ؟ فقال والآلام تُقطِّع أنفاسه : إنها يا صديقي مشاكل الحياة ، مشاكل بيني وبين أبي وأمي ، وبين زوجتي وأولادي ، وبين إخواني ومعارفي ، مشاكل حببت إلي الموت وكرهتني الحياة . رثى لحاله صديقه ولكن بعد البحث الدقيق ظهر أن جميع هذه المشاكل تافهة تذوب وتضمحل ببذل قسم من المال والمال لديه كثير ، ولكن كيف يبذله وهو أعز عليه من راحته وسعادته ، بل أعز عليه من نفسه وحياته .

العادات السيئة

لا يجتمع قوم في مجلس إلا ويضعون قسما من أفراد الأمة على مائدة الغيبة ، فيأكلون لحوم إخوانهم : أمواتاً كانوا أم أحياء فينبشون مساويهم ، وينشرون ما استتر من عوراتهم ، لا لغرض شريف بل حبًّا بذمهم ورغبة في الحط من كرامتهم .

ألا يعلم هؤلاء أن وراء الجدار الذي يسترهم عن جيرانهم أناساً يغتابونهم ؟ وينهشون أعراضهم كما هم يغتابون وينهشون ألا يعلم هؤلاء أن الجزاء من جنس العمل ، وكما يدين الفتى يدان ؟ فاحفظوا كرامة الناس ، يحفظ الله كرامتكم ، واشتغلوا عن عيوب الناس بعيوبكم وأصلحوها فهو خير لكم وأجدى عليكم .

إلى حياة المجد

أيها المؤمنون ، أيها العرب ، أيها المواطنون ! اتحدوا ففي الاتحاد عزكم وكرامتكم ، سيروا نحو أهدافكم بأقدام ثابتة ، تصلوا إلى غاياتكم . وحدوا صفوفكم وأخلصوا في أعمالكم ، يَهَبْكم عدوكم . اطّرحوا الأنانيات ، فهي سبب إخفاقكم وذلكم تواددُوا وتراحموا ، تشتد أواصر الألفة والمحبة بينكم ، حافظوا على أخلاقكم وشيمكم ، تحفظوا قوميتكم وأمجاد أجدادكم ، وانشروا العلم والأخلاق في بلادكم ، تعلُ كلمتكم ويقوَ سلطانكم . أعدوا لأعدائكم كما يعدون لكم ، تصونوا بلادكم واستقلالكم وحياتكم .

المجد عزيز وعظيم ، وطريقه صعب ومحفوف بالأخطار ، فلا يصل إليه إلا أصحاب الهمم العلية ، والنفوس الأبية ، والعزائم القوية . فاتصفوا بهذه الصفات تحتلوا ذروة المجد ، وقمة العظمة .

أثر العلم في الأمم

دخل مدينة ومكث فيها رَدَحاً من الزمن يدرس أحوالها، فوجد النظافة في شوارعها وحوانيتها، ودُورِها ودوائرها، والجمالَ في بساتينها وحدائقها، والجِدَّ في معاملها ومدارسها، والنشاط في أساتذتها وطلابها، والتنسيقَ وحسن الذوق شاملا كل أمر من أمورها، فأخذ العجب منه كل مأخذ وقال: ما السبب الذي أوصل هذه الأمة إلى هذه الدرجة من الرقي والتنظيم؟ وبعد البحث والتحقيق علم أن العلم قد ساد أغلبية الأمة: العلم المقرون بالعمل الصالح والأخلاق الفاضلة، العلم الدافع إلى الحب والتعاون، العلم الذي يرشد الأمة إلى سبيل التقدم والعلاء، ويأخذ بيدها في طريق التفوق في مضمار الحياة، حتى تكون أرقى أمم الأرض، فإلى العلم إلى العلم، وإلى الخلق الكريم.

الوطن والوطنية

الوطن هو البلد الذي أقلتك أرضه وأظلتك سماؤه ، وأنعشك هواؤه ، وغذاك نباته وأرواك ماؤه ، وضم رفات أجدادك ترابه . والوطنية هي التي تدفع المواطن إلى أن يبذل ماله ودمه في سبيل المحافظة على عزة وطنه وكرامة أمته ، والدفاع عن عقيدته ومقدساته ، ولا يكون ذلك إلى بجمع الكلمة وتقوية أواصر المحبة ، وربط القلوب برباط الإيمان ، وتنظيم الصفوف ضد كل أجنبي مستعمر ، ووطني خائن ومستبد قاهر ، ففي سبيل الدفاع عن الأوطان يستعذب الموت ، وفي سبيل إعزازها وتثبيت سلطانها تحلو التضحية وتُسترخص الأموال ، وتُستسهل الصعاب .

المسكرات ومضارها

العقل هو الجوهرة النفيسة التي فُضِّل به الإنسان على سائر الحيوانات ، إذ يستطيع به أن يفرق بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبقدر العقول تتفاوت منازل الرجال وتعلو أقدارهم ، إذا كان الأمر كذلك فكيف يقدم عاقل على تعاطي المسكرات التي تسلب منه هذه الجوهرة الثمينة ، وتحشره في زمرة المجانين الذين هم أحط منزلة من العجماوات ، ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل لا بد أن تسلبه المسكرات ماله وشرفه ، ومروءته وصحته ، وأخيراً حياته وسعادته ، اسمعوا أيها المؤمنون قول الله تعالى : إنما يُريد الشيطان أن يوقعَ بينكمُ العداوةَ والبغضاء فى الخمرِ والميسرِ ويَصدَّكم عن ذكرِ الله وعن الصلاةِ فهل أنتم مُنتَهون[1] .

---

(١) سورة المائدة آية ٩٤ .

راحة الشعب والحكام

لو أنصف الشعب فوقف كل فرد منه عند حده فلم يعتد على حق غيره لاستراحت الحكام ولأقفرت المحاكم من المتخاصمين ، بل لاستراح الشعب نفسه ، بل لاستراحت الأمة كلها . ما أجمل الإنصاف وما أعظم أثره في المجتمع ، إنه ينشر المحبة والمودة بين الناس ، ويُقوّي أواصر الأخوّة ووشائج الاتحاد ، ما أجمل الإنصاف يشيع في أفراد الأمة : يشيع في شيوخها وشبابها ، في أغنيائها وفقرائها ، في تجارها وعمالها وفي كل جزء من أجزائها ، إنه ينشر الثقة بين جميع الطبقات . إن في الإنصاف الراحةَ والصفاء ، والسعادةَ والهناء .

فإلى الإنصاف أدعوكم أيها الناس ، علموه البنين والبنات والشباب والشابات ، وانشروه في البيوت والمجتمعات ، والمدارس والمنتديات ، وبين الاخْوَة والأخوات .

كن — تكن

كن عادلاً ، تكن آمناً
كن صادقاً ، تكن مؤتمَناً
كن متواضعاً ، تكن محبوباً
كن كريماً ، تكن عزيزاً
كن راضياً ، تكن سعيداً
كن مخلصاً ، تكن ناجحاً
كن حذِراً ، تكن سالماً
كن صابراً ، تكن منصوراً
كن عالماً ، تكن سيداً
كن رحيماً ، تكن مرحوماً
كن قويًّا ، تكن لعدوك قاهراً
كن تقيًّا ، تكن ناجياً

وطني

ما أجملك يا وطني وما أبهاك ، ما أبدع روضك وأطيب جنـاك ، ما أنضر أرضك وما أصفى سماءك ، ما أعذب ماءك يا وطني وما ألطف هواءك ، ما أجل تربتك المعجونة بدماء الأجداد ، الذين جاهدوا في الله حق الجهاد ، وحطموا بسنابك خيولهم جماجم الأعداء ، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، إنني يا وطني ! حينما أشم الزهرات التي انبتتها تربتك أشم عبير دماء أجدادنا الشهداء الذين جادوا بأرواحهم في سبيل الله ،وتجشموا الصعاب والأهوال ، وجابوا الصحاري والقفار ، وركبوا البحار واستهانوا بالأخطار ، وبذلوا كل ما استطاعوا في سبيل عزتك ومجادك ، وها نحن يا وطني بهم مقتدون ، وعلى آثارهم مهتدون .

الأخلاق والعادات

لكل أمة عادات تتمسك بها ، وأخلاق تحافظ عليها ، ولأمتنا العربية من العادات الشريفة ، والأخلاق الفاضلة ما لا يوجد مثلها عند غيرها ، فمن أخلاقها ، العزة والشمم ، والنجدة والكرم ، ومنها الغيرة والحمية ، والايثار والتضحية . يجود العربي بماله وحياته ، ويضن بعرضه وشرف بلاده .

فعلينا جميعاً أن نحافظ على هذه الأخلاق العالية التي ورّثنا إياها أجدادنا ، فبقاؤنا منوط ببقائها ، قال المرحوم أحمد شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

العدل

كل فرد منا يقول بملء فيه : أحب العدل وأجتهد في تأييده ، ولكن أفعالنا تكذب أقوالنا ، فالعدل في نظر الكثير منا هو الذي يوافق مصالحه وأغراضه . سواء كانت هذه لمصالح والأغراض عادلة أم جائرة ، فإذا وافق الشرع منافعهم فهم شرعيون ، و إذا أيدها القانون فهم قانونيون ، و إذا خالفها الشرع والقانون فهم مجتهدون مبتدعون . وما العدل الذي لا يشوبه ظلم ، إلا ما شرعه الله العادل ، وما الحق الذي لا يخامره باطل ، إلا الذي أمر به الخالق .

•••○○•••

الصحة والأصحاء

من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده بعد الإيمان نعمة العافية ، إذ بوجودها يشعر الإنسان بالسعادة ، وهي تاج أثمن من تيجان الملوك ، وهي كنز لا تفنى جواهره ، ونبع عذب لا تنضب موارده ، وصحيح الجسم قويه — وإن كان قليل المال — أسعد من المريض وإن ملك الدنيا ، فحافظ أيها العاقل على صحتك ، ولا تفسدها بسوء تصرفاتك . فمن أكثر الطعام أفسد معدته ، ومن شرب المسكرات أفسد عقله ، ومن استسلم للشهوات هدم كيانه ، وأضاع ماله وشرفه ، وقضى أخيراً على حياته .

كلمات

اتعب في طلب العلم في شبابك تسد به في كهولتك وشيخوختك .

اصبر على مرارة العمل والكفاح ، تذق حلاوة التوفيق والنجاح .

اجتهد أن تكون مخلصاً في أعمالك ، تكن نافعاً لأمتك و بلادك .

نفِّس عن أخيك المكروب ينفس عنك علام الغيوب .

تواضع لربك هنا ، يرفعك هنا وهناك .

افعل الخير في دنياك ، تنل السعادة في أخراك

احفظ نفسك اليوم من الذنوب والآثام ، تحفظها غداً من الشقاء وعذاب النار .

روح السعادة

من خيرات النساء وفضلياتهن، المرأة العاقلة ، ذات الأخلاق العالية ، والشيم الكريمة ، التي تقوم بواجبها نحو خالقها : فتقف عند حدود أمره ونهيه ، ونحو زوجها فتحفظ عرضه وماله ، تخفف بلطفها أتراحه ، وتجلب بحسن حديثها أفراحه ، تهبه قلبها وحبها وإخلاصها ، تشاركه في السراء والضراء ، وتعينه في السر والجهر ، تربي أطفاله وتنظم داره ، وتجعلها جنة فيها أنواع السرور ، وأصناف الحبور .

فهذه المرأة العاقلة المخلصة ، الشريفه الفاضلة ، هي منبع السعادة وروح الحياة .

المحبة وادعاؤها

إنني لا أستطيع أن أصدق من يدعي محبتي ويوسعني في وجهي إطراء ومدحا ، ولا يألوني في غيبتي ذمًّا وقدحا ، ولا أومن بصدق من يدعي محبته للوطن ، وغيرته عليه وهو لا يبذل في سبيل تقدمه والمحافظة على كرامته قليلاً ولا كثيراً ، كلاهما كاذب في ادعائه ، وأكذب من هذا وذاك من يزعم أنه محب لله ورسوله وهو لا يطيع أوامرهما ، ولا يجتنب نواهيهما ، اسمعوا قول الشاعر :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فعلينا أن تصدق أقوالنا أعمالنا ، لأن كل قول أو ادعاء لا تدعَمه الأعمال لا قيمة له ولا ثقة بقائله .

الشريعة العادلة

لم تمنع الشريعة الإسلامية السمحة أحداً من العمل والكسب ، والتمتع بمُتع الحياة ، بل حثَّت عليهما ورغبت فيهما ، فاعمل واجمع من المال ما تستطيع شريطة أن يكون من الطرق المشروعة ، فلا مانع من أن تأكل طيباً ، وتلبس فاخرا ، وأن تتمتع بملذات الدنيا التي أباحتها الشريعة العادلة ، على أن تبتعد عما حرمته ، واعلم أنك لا تجد متعة محرمة إلا وتجد مقابلها متعة مشروعة مباحة .

فلنسر جميعاً في حدود هذه الشريعة الكاملة التي اعتنت بالروح ، ولم تهمل المادة .

الطمع وآثاره

كثير من المصائب التي تصيب الأمة مصدرها الطمع إذ لولاه لما أفلس تاجر لمخاطرته بماله ومال غيره ، في سبيل الحصول على الغنى السريع غير المشروع ، ولولاه لما أقدم سارق على ارتكاب جريمة السرقة التي تسبب الإخلال بالأمن وقد توصل إلى القتل والإعدام ، الطمع يدفع صاحبه إلى إزهاق روح أخيه ليستولي على أمواله ، كما يدفعه إلى الخيانة العظمى : خيانة وطنه ، واستعباد أمته ، وذلك بتعاونه مع الأجنبي عدوه ، وهذه الخيانة توجب له الموت والذل في الدنيا ، والخزي والعذاب في الآخرة .

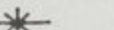

الدنيا

إنني كثيراً ما أسمع الخاصة من الناس يذمون الدنيا ويلعنونها ، ويصفونها بأقبح الصفات ، وينفرون العامة منها ومن الركون إليها ، ويرغبونهم في الزهد بها ، وإذا أنعمنا النظر في هؤلاء المزهِّدين نراهم أشد الناس رغبة فيها ، وأكثرهم تكالباً عليها . قل لي بربك كيف يثق الناس برجل يلعن الدنيا بلسانه ويمجدها بقلبه ، وينفرهم منها وهو مقبل عليها ، ويزهدهم فيها وهو أكثرهم حرصاً عليها ؟ فيا أيها المرشدون لا تأمروا بالخير وأنتم عنه معرضون ولا تنهَوا عن الشر وأنتم عليه مكبون ، تحفظوا بذلك مكانتكم وتُسمع موعظتكم .

استعراض أعمالنا

ها قد انقضت سنة من سني حياتنا ، فماذا سجلنا فيها من أعمال جليلة ؟ هل قمنا بما أوجبه علينا ربنا سبحانه فعملنا ما أمرنا به واجتنبنا ما نهانا عنه ؟ هل قمنا بواجبنا تجاه إخواننا فساعدنا فقيرهم ، وعلمنا جاهلهم ، وأعنا ضعيفهم ؟ هل قمنا بواجبنا نحو وطننا فعملنا على تقدمه وازدهاره ، والدفاع عنه والحفاظ عليه ؟ فليحاسب كل منا نفسه وليستعرض أعماله : فمن قام بمثل هذه الواجبات فليهنأ بها وليضاعفها ، ومن قصر فيها فليستدرك غداً ما فاته اليوم .

تم طبع كتابي « كلمات حمدي عبيد » أسأل الله أن ينفعني به وينفع القارئين والسامعين . اللهم وفقني لانفاق ما بقي من أيام حياتي في طاعتك . رب اغفر لي ولوالديَّ ولزوجتي وللمسلمين ، وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

فهرست الموضوعات

الصفحة		رقم الكلمات
٣	مقدمة الكتاب	١
٩	الصدق	٢
١٠	من وحي العروبة	٣
١٨	إلى القوة	٤
١٩	الرحمة في الإسلام	٥
٢٩	من توجهات النبي ﷺ الاجتماعية	٦
٣٦	من التوجيه النبوي في آداب الطعام	٧
٤٢	عزة النفس	٨
٤٣	داؤنا ودواؤنا	٩
٤٩	من ذكريات الطفولة	١٠
٥٦	الخمر وتحريمها	١١
٧٤	القمار واليانصيب	١٢
٨٢	كلمة القيت في حفلة عقد قران	١٣
٩٦	انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً	١٤
١٠٢	أبنائي الأعزاء	١٥
١٠٤	الإيمان	١٦
١٠٥	حسن الظن	١٧
١٠٦	الرحمة والقسوة	١٨
١٠٧	السلطان	١٩
١٠٨	الخيانة العظمى	٢٠
١٠٩	غض البصر	٢١
١١٠	الصيام الكامل	٢٢
١١١	الثبات والجمود	٣٢
١١٢	عادات سيئة	٢٤

الصفحة		رقم الكلمات
١١٣	القيود المختارة	٢٥
١١٤	التمسك والتعصب	٢٦
١١٥	ناصر الضعفاء	٢٧
١١٦	ثبات لا جمود	٢٨
١١٧	الخيانة	٢٩
١١٨	المستميت لا يموت	٣٠
١١٩	إلى الحياة	٣١
١٢٠	الإخلاص والنهوض	٣٢
١٢٠	الاعتدال	٣٣
١٢١	الجهاد	٣٤
١٢٢	الخرافات	٣٥
١٢٣	إلى العرب	٣٦
١٢٤	المنافق	٣٧
١٢٥	هادي الضالين	٣٨
١٢٨	السلام المنشود	٣٩
١٢٩	أيها الصائم	٤٠
١٣٠	الاختلاف	٤١
١٣١	من الغني ؟	٤٢
١٣١	العقيدة	٤٣
١٣٢	كذبة نيسان	٤٤
١٣٣	خدع المظاهر	٤٥
١٣٤	جولة في عيد	٤٦
١٣٥	قلوب متحجرة	٤٧
١٣٦	إلى الصائمين	٤٨
١٣٧	الخداع والدجل	٤٩
١٣٨	الأنانية	٥٠
١٣٩	الموت	٥١
١٤٠	طول الحياة وقصرها	٥٢
١٤١	الحق	٥٣
١٤٢	الباطل	٥٤
١٤٣	ما هذه الوطنية	٥٥
١٤٤	كلمة مخلصة	٥٦
١٤٥	لى العرب	٥٧
١٤٦	الانتحار	٥٨

الصفحة		رقم الكلمات
١٤٧	إلى المستعمرين	٥٩
١٤٨	إلى الإنسانيين	٦٠
١٤٩	الاستشارة سبيل السلامة	٦١
١٥٠	مقابلة الإحسان بالإساءة	٦٢
١٥١	راحة الضمير	٦٣
١٥٢	غني شاكر	٦٤
١٥٣	إلى كل عربي	٦٥
١٥٤	الصدق	٦٦
١٥٥	أبواق المستعمرين	٦٧
١٥٦	الصيام	٦٨
١٥٧	الصيام والأخلاق	٦٩
١٥٨	الصيام والصحة	٧٠
١٥٩	الصيام والاجتماع	٧١
١٦٠	احذروا الكذب والكذابين	٧٢
١٦١	الطبيعة وجمالها	٧٣
١٦٢	السلام	٧٤
١٦٣	عز الوطن بأبنائه	٧٥
١٦٤	الكذب والكذابون	٧٦
١٦٥	حصن العروبة	٧٧
١٦٦	التبذير	٧٨
١٦٧	حياة العرب	٧٩
١٦٨	الاهتمام بالوعد	٨٠
١٦٩	لا يجتمع الإيمان والخيانة	٨١
١٧٠	الصاحب المزيف	٨٢
١٧١	الوطن العربي	٨٣
١٧٢	الحب	٨٤
١٧٣	الوحوش الضارية	٨٥
١٧٤	المروءة	٨٦
١٧٥	إلى السلام	٨٧
١٧٦	المظاهر الخداعة	٨٨
١٧٧	أقصوصة	٨٩

الصفحة	رقم الكلمات		
١٧٨	الصيام والرحمة	٩٠	
١٧٩	الصيام والأخلاق	٩١	
١٧٩	مقاومة المنكر	٩٢	
١٨٠	المؤمن والإيمان	٩٣	
١٨١	الصديق المخلص	٩٤	
١٨٤	معاملة ولد لأمه	٩٥	
١٨٥	الأمر بالمعروف	٩٦	
١٨٦	مشاكل الحياة	٩٧	
١٨٧	العادات السيئة	٩٨	
١٨٨	إلى حياة المجد	٩٩	
١٨٩	أثر العلم في الأمم	١٠٠	
١٩٠	الوطن والوطنية	١٠١	
١٩١	المسكرات ومضارها	١٠٢	
١٩٢	راحة الشعب والحكام	١٠٣	
١٩٣	كن ، تكن	١٠٤	
١٩٤	وطني	١٠٥	
١٩٥	الأخلاق والعادات	١٠٦	
١٩٦	العدل	١٠٧	
١٩٧	الصحة والأصحاء	١٠٨	
١٩٨	كلمات	١٠٩	
١٩٩	روح السعادة	١١٠	
٢٠٠	المحبة وادعاؤها	١١١	
٢٠١	الشريعة العادلة	١١٢	
٢٠٢	الطمع وآثاره	١١٣	
٢٠٣	الدنيا	١١٤	
٢٠٤	استعراض أعمالنا	١١٥	

تجد كلمات الصيام في صفحة ١١٠ و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٧٨ و ١٧٩ من هذا الكتاب

منشورات حمدي عبيد

قرش سوري

١٢٥ الى الحياة : آيات تدعو الى الصلاح والاصلاح

١٠٠ من تراث النبوة في العلم والحكمة والاخوة

٥٠ الاحاديث النبوية في الأخلاق والاجتماع والمدنية

٢٥ المختار من الأدعية والاذكار في آخرها مناسك الحج

١٢٥ من عيون الأخبار من الطف كتب الأدب وانفعها

٧٥ من صميم الحياة مقالات ومحاضرات وقصص مفيدة

٧٠٠ منشورات حمدي عبيد مجلد واحد ممتاز يحوي الكتب الستة الموضحة اسماؤها اعلاه .

٢٠٠ خطب حمدي عبيد ، في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي دينيةعصرية تدعو لنيل السعادتين .

١٢٥ كلمات حمدي عبيد في الدعوة الى الخير والفضيلة

تطلب من المكتبة العربية في دمشق

لاصحابها عبيد اخوان

صندوق البريد ١٩ ـ الهاتف ١٢١٢٧

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072245242